٣٠١٠٢٠٠٠٠٠١١٦

ـ أ ـ

ابن قتيبة ونقد الشعر

إعداد

محمد مريسي الحارثي

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من قسم الدراسات العليا العربية

(فرع الأدب) بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة

(جامعة الملك عبد العزيز)

١٠٢١١٧ ل

باشراف

الدكتور / عبد الحكيم حسان عمر

جامعة أم القرى بمكة المكرمة
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH
١١٦

١٣٩٦ ـ ١٩٧٦

***

فهرس الموضـــــوعات

الموضـــــوع	الصفحـــة
مقدمـــــة	جـ
تمهيـــــد	١ ـ ١٨
الباب الأول	
(ابن قتيبـــــة)	١٩ ـ ٥٩
الفصل الأول : ابن قتيبة حياته وآثاره	٢٠ ـ ٤٣
الفصل الثانى : النقد فى مؤلفات ابن قتيبة	٤٤ ـ ٥٩
الباب الثانـــى	٦٠ ـ ١٤٩
(نقد الشعر عند ابن قتيبـــة)	
الفصل الأول : لغة الشعر	٦١ ـ ٦٤
الفصل الثانى : عيوب الشـــعر	٦٥ ـ ٧٥
الفصل الثالث : قضية اللفظ والمعنى	٧٦ ـ ٩٦
الفصل الرابع : دواعى حفظ الشعر واختياره	٩٧ ـ ١١١
الفصل الخامس : المتكلف والمطبوع	١١٢ ـ ١٢٥
الفصل السادس : موقف ابن قتيبة من القديم والحديث	١٢٦ ـ ١٤٣
الفصل السابع : موقف ابن قتيبة من السرقات الشعرية	١٤٤ ـ ١٤٩
الباب الثالث	١٥٠ ـ ١٦٧
(الشاعر عند ابن قتيبـــــة)	
الفصـــل الأول : ثقافة الشـــاعر	١٥١ ـ ١٥٤
الفصل الثانـــى : علاقة الحالات النفسية بالشعر	١٥٥ ـ ١٦٢
الفصل الثالث : تقويم الشـــعراء	١٦٣ ـ ١٦٧
خاتمـــة البحـــث	١٦٨ ـ ١٧١
فهرس المراجـــع	١٧٢ ـ ١٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وخاتم المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين وبعد :

موضوع هذا البحث " ابن قتيبة ونقد الشعر " وواضح من هذا العنوان ان البحث ذو شقين : يتناول الأول ابن قتيبة وحياته وآثاره العلمية ، وان كان الذين ترجموا لابن قتيبه وكتبوا عن آثاره كثيرون ، الا أن ترجمتنا له وحديثنا عن علمه وآثاره تميل الى توضيح الجانب الادبى عند ابن قتيبة أكثر من الجوانب العلمية الأخرى ، حيث أن الجانب الادبى عنده هو الخط الذى يرسم لنا منهجه عندما تصدى لنقد الشعر .

ويتناول الثانى جانبا من جوانب ابن قتيبة العلميه وهو " نقد الشعر " الذى ضمنه كتاب " الشعر والشعراء " .

ولا شك أن البحث فى شخصية ابن قتيبة الناقد ذو أهمية كبيرة فى الدراسات الأدبية . فابن قتيبة عالم واسع المعرفة لم يترك لونا من ألوان الثقافة العربية الا تناول منه جانبا وأحسن فيه ، كما كان له نصيب وافر من الثقافة الاجنبية التى عرفت فى عصره ، وخير دليل على تعدد ثقافة الرجل كتابه " عيون الأخبار " الذى جمع فيه بين الثقافة العربية والثقافات الاجنبية كما تبين أثناء الحديث عن آثار ابن قتيبة العلمية فى هذه الدراسة .

ولقد كانت ثقافته الواسعة تؤهله لأن يتصدى لقضايا النقد العربى التى ظهرت فى عصره .

وتبدأ هذه الدراسة بتمهيد يتناول أهم الخطوات التى خطاهـــا النقد العربى منذ العصر الجاهلى حتى القرن الثالث الهجـرى .

وقد تطلبت طبيعة البحث أن يقسم الى ثلاثة ابواب . أما البـــاب الأول فيكشف عن جوانب نشأة ابن قتيبة وحياته وآثاره ، كما يعرض بشىء مـــن التفصيل كتبه التى تناولت الجانب الادبى بصفة عامة فى شىء من التعريف بهـــا ، بغية تحديد أيها الصق بنقد الشعر الذى هـو موضوع هذه الدراسة . وقـــد ظهر من هذا العرض للنقد فى مؤلفات ابن قتيبة الادبية أن كتاب " الشعر — الشعراء " هو الكتاب الذى يمثل الجانب النقدى عنده .

وفى الباب الثانى الذى يقوم على دراسة نقد الشعر عند ابن قتيبة محاولـة لتحديد موقفه من القضايا النقدية التى عالجهـا ، وتوضيح مدى ما أفاده مـــن النقاد القدماء أو المعاصرين له وما أضافه الى النقد العربى ومن ثم تقويم أثـــره فى الحركـة النقدية بعده .

أما الباب الثالث فيتناول اهتمام ابن قتيبة بالشاعر وعنايته به ، فعالـــج ما يحتاجـه الشاعر من ثقافة تمكنه من ان يقف على ارض صلبة فى ميدان الشعـــر ، كما تناول الحالات النفسيـة وعلاقتها بالشعر ، الى جانب تناوله للنقد العملـى المتمثل فى تقويمه بعض الشعراء الذين ترجم لهم فى كتاب الشعر والشعراء .

على أن هذه الدراسة التى أقدمها للكشف عن شخصية ابن قتيبة الناقـــد قد لا تمثل الصورة الاخيرة لابن قتيبة الناقد ، ولكنها محاولة لرسم معالـــم تلك الشخصية حسب المنهج الذى رسمه هو فى كتاب الشعر والشعراء ، بعـــد بذل الجهـد ومراعاة الدقـة فى كل خطوة خطوتها فى هذا البحث .

وانني لأرجو الله أن أكون قد حققت بهذه الدراسة صورة أقرب ما يمكن من الصحة عن حياة ابن قتيبة وجهوده في ميدان النقد العربي .

ولا يسعني وأنا اكتب هذه المقدمة الموجزة الا أن أتقدم بالشكر الجزيل لسعادة الدكتور عبد الحكيم حسان عمر الذي أشرف على اعداد البحث وأمدني بالكثير من توجيهاته السليمة حتى أكمل هذا البحث على هذه الصورة التي أقدمها بين يدي القارئ ، ولا أجدني الا مقصرا في توفيته ما يستحق من الشكر والتقدير ،

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل الصواب حليفنا وأن يجنبنا الخطأ والزلل فإن وقعنا في شيء من ذلك فالانسان غير معصوم من الخطأ والكمال لله وحده .

محمد مريعي سمد الحارثي

مكة المكرمة

* تمهيـــــــــد *

كان للعرب في أواخر العصر الجاهلي مجالس أدبية ، وأسواق تجارية (١) ، يجتمعون فيها ، ويتذاكرون الأشعار ، ويتناقلونها فتذيع بين القبائل ، مما دعى الشعراء الى التناضي وتقديم أجود ما تنبعث به القرائح ، حتى كثر الكلام حول تلك الأشعار بين الاعجاب بها أو الانتقاص منها ، وبذلك بدأت تظهر الى الوجود بعض الآراء الفردية في أشعار الشعراء القائمة على التأثر الشخصي والنظرة العجلى ، وكانت هذه الآراء هي بداية النقد العربي (٢) .

ومن تلك الآراء تنبههم الى أن النابغة الذبياني وعلقمة بن ابي خازم كانا يقويان في شعرهما ، ومن ذلك قول النابغة : (٣)

أمن آل مية رائح أو مغتدي * عجلان ذا زاد وغير مزود .

زعم البوارح أن رحلتنا غدا * وبذاك خبرنا الغراب الأسود . (٤)

---

(١) كانت عكاظ من أشهر الأسواق التجارية التي يجتمع فيها العرب للبيع والشراء ، وقد اشتهر النابغة الذبياني بدقة ملاحظاته النقدية ، حتى ضربت له في السوق قبة من جلد ، كما كانت تعرض عليه أشعار الشعراء .

(٢) من اهم الكتب التي تناولت تاريخ النقد الأدبي عند العرب كتاب " تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي حتى القرن الرابع الهجري " للمرحوم طه أحمد ابراهيم ، وكتاب " تاريخ النقد الأدبي عند العرب من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري " للدكتور احسان عباس .

(٣) ابن قتيبه . الشعر والشعراء . (مصر ١٩٦٦ م) جـ ١ ص ١٥٧ـ١٥٨ .

(٤) وفي الديوان . " وبذاك تنعاب الغراب الأسود " انظر النابغة الذبياني ديوانه . (بيروت ١٩٦٨ م) ص ٢٩

كما عابوا على المتلمس خطأه فى المعنى حين قال : (١)

وقد أتناسى الهم عند احتضاره * بناج عليه الصيمرية مكدم .

حيث جعل الصيمرية سمة للفحل ، وهى من سمات الناقة .

أضف الى ذلك الروايات التى تشير الى وجود احتكام بين الشعراء الجاهليين ، والمفاضلة بينهم ، كاحتكام الشعراء الى النابغة فى سوق عكاظ ، وقصة حسان بن ثابت والخنساء فى ذلك ، واحتكام شعراء تميم الى ربيعة بن حذار (٢) ، وقصة أم جندب مع زوجها امرئ القيس وعلقمة الفحل ، وما وصل اليه الشعر فى أواخر ذلك العصر على يد أوس بن حجر وشامة بن الغدير ، وزهير بن أبى سلمى واشباههم ، حيث أصبح الشعر فنا يتعلم بالدربة وملازمة المشاهير من الشعراء .

كل هذه الشواهد تدل على وجود نظرات نقدية فى العصر الجاهلى ، تناولت طرفا من مقومات الصياغة وما يعرض للمعانى من بعض العيوب ، الا أن المقياس المعتمد فى ذلك الذوق الفردى القائم على التأثر والنظرة السريعة ، اذ أنها خطرات لا تمثل نقدا فنيا بالمعنى الصحيح ، وآراء فردية لا ترقى الى مستوى الاتجاه النقدى العام .

وقد استطاع بعض النقاد فى القرن الثالث الهجرى أن يقدموا لنا بعض تلك الخطرات النقدية مع شىء من التعليل الحسن . فالجاحظ يذكر أنه منذ العصر الجاهلى نشأ التفريق بين نوعين من الشعراء : شعراء الصنعة الذين قوموا شعرهم

---

(١) ابن قتيبه . الشعر والشعراء . جـ ١ ص ١٨٣ .
(٢) انظر قصة احتكام شعراء تميم الى ربيعة بن حذار مفصلة فى طه احمد ابراهيم تاريخ النقد الادبى عند العرب . (بيروت بدون تاريخ) ص ١٤ .

بالثقاف ونقحوه وأعادوا فيه النظر بعد النظر حيث يقول : " ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة حولا كريتا وزمنا طويلا ، يردد فيها نظره ، ويجيل فيها عقله ، ويقلب فيها رأيه ، اتهاما لعقله ، وتتبعا على نفسه ، فيجعل عقله زماما على رأيه ، ورأيه عيارا على شعره ، اشفاقا على أدبه ، واحرازا لما خوله الله من نعمته ، وكانوا يسمون تلك القصائد " الحوليات " و " المقلدات " و " المنقحات " و " المحكمات " ليصير قائلها فحلا خنذيذا ، وشاعرا مفلقا . " (١)

وكان الحطيئة يقول : " خير الشعر الحولى المحكك . " (٢)

وشعراء البديهة الذين لا يتكلفون الشعر ولا يتعبون فيه بكد الخاطر ، وانما يأتى عندهم عن اسماح وسهولة . وقد كان الجاحظ يحبذ النوع الأول من الشعراء الذين اعتمدوا طول الروية فى شعرهم ، وانتقد الأصمعى الذى عاب على الحطيئة تقويمه لشعره وتنقيحه له بقوله : " الحطيئة عبد لشعره . عاب شعره حين وجده كله متخيرا مستويا لمكان الصنعة والتكلف والقيام عليه . " (٣)

وقد كان حال النقد فى عهد الخلفاء الراشدين كما هو الحال فى الجاهلية ، لا يعدو أن يكون نظرات يسيرة وسريعة لم تتجاوز المرحلة التأثرية البحته ، الا فى حالات نادرة جدا ، كالذى رووه من أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال مستحسنا شعر زهير ابن أبى سلمى : " كان لا يعاظل بين القول ، ولا يتبع

---

(١) الجاحظ . البيان والتبيين . (القاهرة ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦م) جـ٢ ص ٧ ـ ٨ .
(٢) المصدر السابق " . جـ٢ ص ١٣ .
(٣) المصدر السابق . جـ ١ . ص ٢٢٩ .

حوشى الكلام ، ولا يمدح الرجل الا بما هو فيه . " [1] فاذا صحت هـذه الرواية ، فان عمر فى نقده قد تجاوز المرحلة التأثرية ، وبنى نقده على أصول متميزة تعتمد التعليل .

على أن تلك النظرات لا يمكن بحال من الأحوال أن تمثل الخط الذى سار عليه النقد الأدبى عند الجاهليين ، وفى عهد الخلفاء الراشدين تمثيلا واضحا ، لأنها لم تصب من الشيوع والانتشار ما يجعل منها اتجاها عاما .

ولم تبدأ بذور النقد الموضوعى فى الظهور واضحة الا فى العصر الأموى ، حين ازدهر الشعر على يد المشاهير من شعراء الاسلام الذين كانوا يمثلون اتجاهات ومذاهب ادبية مختلفة ، لأنهم لم ينبتوا فى بيئة واحدة ، ولم تجمعهم أهداف سياسية موحدة . فأخذ الناس يدرسون نتاجهم ، ويتعمقون فى فهم الأدب واتجاهاته ومذاهب الشعراء فيه ، مما أثرى ميدان النقد الأدبى .

وقد تعددت بيئات الأدب والنقد فى هذا العصر . فكانت بيئة الحجاز ، وبيئة العراق ، وبيئة الشام ، والبيئة البدوية ، وقد قدمت كل بيئة لونا خاصا يمثل صورة صادقة لكل جوانب الحياة فيها [2] . فبيئة الحجاز التى فقدت الخلافة فى هذا العصر أصبحت مقصدا لكثير من الموالى . وكان من بين أولئك عدد كبير

---

(١) ابن قتيبه . الشعر والشعراء . جـ ١ ص ١٣٨ .

(٢) انظر احمد امين . النقد الأدبى ، (بيروت ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م) ص ٤٥٠ ـ ٤٦٩ . فقد تحدث عن بيئات النقد فى العصر الأموى حديثا مفصلا .

من المغنين الذين امتلأت بهم مكة والمدينة ، كان سريج ، والغريض ، ومعبد ، وغيرهم ممن عمروا المجالس الغنائية بارق الأصوات التى استهوت أهل الحجاز .

ولذلك حفلت اندية مكة المكرمة ومجالسها الادبية والغنائية برقة شعر عمر بن ابى ربيعة الذى انصرف الى الغزل واللهو ، حتى اصبح فن الغزل على يديه جنسا ادبيا مستقلا ، بعد أن كان لمحة موجزة يعرض لها الشاعر العربى فى مقدمة القصيدة .

وكان ابن ابى عتيق من أشهر النقاد الذين تناولوا شعر ابن ابى ربيعة فقد وصفه بانه " اشعر قريش من دق معناه ، ولطف مدخله ، وسهل مخرجه ، ومتن حشوه ، وتعطفت حواشيه ، وأنارت معانيه ، وأعرب عن حاجته . "(١)

أما المدينة المنورة فكان أشهر شعرائها الاحوص ، وعبيد الله بن قيس الرقيات . وقد شاركا بشعرهما فى تصوير تلك الحياة المترفة الناعمة ، وكان مجلس سكينة بنت الحسين فى المدينة ملتقى الشعراء ، والمغنين ، ورواة الأشعار ، لما كان لها من دراية بالشعر واساليب الشعراء . روى صاحب الاغانى انه قد احتكم اليها ذات مرة " راوية جرير ، وراوية جميل ، وراوية نصيب ، وراوية الاحوص ، .... فقالت لراوية جرير : اليس صاحبك الذى يقول :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعى بسلام

---

(١) ابو الفرج الاصبهانى . الاغانى . (مصر ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢ م) جـ١ ص١٠٩ .

وأى ساعة للزيارة أحلى من الطروق ؟ قبح الله صاحبك وقبح شعره ! الا قال :

فادخلى بسلام . ثم قالت لراوية كثير : اليس صاحبك الذى يقول :

يقر بعينى ما يقر بعينها * وأحسن شىء ما به العين قرت .

فليس شىء أقر لعينها من النكاح ، أفيحب صاحبك أن ينكح ؟ قبح الله صاحبك وقبح شعره .

ثم قالت لراوية جميل : اليس صاحبك الذى يقول :

فلو تركت عقلى معى ما طلبتها * ولكن طلابيها لما فات من عقلى .

فما أرى بصاحبك من هوى ، انما يطلب عقله . قبح الله صاحبك وقبح شعره ، ثم قالت لراوية نصيب : اليس صاحبك الذى يقول :

أهيم بدعد ما حييت فان أمت * فوا حزنا من ذا يهيم بها بعدى .

فما أرى له همة الا من يتعشقها بعده . قبحه الله وقبح شعره . الا قال :

أهيم بدعد ما حييت فان أمت * فلا صلحت دعد لذى خلة بعدى .

ثم قالت لراوية الأحوص : اليس صاحبك الذى يقول :

من عاشقين تراسلا وتواعدا * ليلا اذا نجم الثريا حلقا .

باتا بأنعم ليلة والذها * حتى اذا وضح الصباح تفرقا .

قال : نعم . قالت : قبحه الله وقبح شعره ، الا قال : تعانقا . »[1]

وكتاب الأغانى مملوء بوصف تلك المجالس الادبية التى خلقت فى الحجاز أدبا رقيقا

---

(١) أبو الفرج الاصبهانى . الأغانى (تصوير بيروت ١٩٥٩) جـ ١٦ . ص١١٠ ـ ١١١ .

يتفق مع مظاهر الحياة الاجتماعية ، وهذا الأدب الرقيق نتج عنه نقد دقيق يدل على تطور الذوق ورقيه .

أما العراق في العصر الأموى فقد شهد فنا من فنون الأدب التى كادت تغيب عن عالم الأدب فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك الفن هو شعر النقائض . فقد استعاد هذا الفن نشاطه الذى كان له فى الجاهلية من جديد ، لأسباب اقتصادية وسياسية وقبلية ، واستأثر بجهود الشعراء الفحول . فقد عمر جرير والفرزدق سوق المربد بشعرهما ، وانضم اليهما بعض الشعراء الذين انحاز اكثرهم الى جانب الفرزدق ، كالأخطل والراعى والبعيث وغيرهم . ولقد تناول الناس اشعارهم ، وراحوا فى صراع ادبى محتدم يوازنون وينظرون أيهم أشعر ، فيمتدحون شعر هذا ، وينتقصون شعر ذاك ، حتى لقد رأوا أن انصراف الشاعر عن الهجاء وعدم القول فيه من دواعى تأخره عن ركب الفحول " فهذا ذو الرمة أحسن الناس تشبيها ، وأجودهم تشبيبا ، وأوصفهم لرمل وهاجرة ، وفلاة ، وماء ، وقراد وحية ، فاذا صار الى المديح والهجاء خانه الطبع . وذاك أخره عن الفحول . " (١) ولذلك كان جل نقدهم يدور حول المفاضلة بين الشعراء .

غير أنا اذا انتقلنا الى الشام ، رأينا أن المظهر العام للأدب هناك فى

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . جـ ١ ص ٩٤ .

المديح ، حيث كانت دمشق مقر الخلفاء من بنى امية الذين فتحوا ابوابهم للشعراء ، يسمعون مدائحهم ، ويغدقون عليهم الأموال ، فكانت مجالس الخلفاء مدارس ادبية ، يشترك فيها الخلفاء والشعراء ، وكان من الخلفاء من لهم دراية بالشعر ، وطرق الشعراء ومناهجهم . ولعل عبد الملك بن مروان كان من اشهر الخلفاء الذين مارسوا نقد الشعر . فقد روى انه عاب على الأخطل قوله :

" خف القطين فراحوا منك او بكروا "

حيث قال : " بل منك ان شاء الله . " (١) ولم يقبل من جرير نبو ذوقه فى قوله :

هذا ابن عمى فى دمشق خليفة * لو شئت ساقكم الى قطينا . (٢)

لأنه ادرك من ذلك ، أنه انما جعل الخليفة فى مقام الشرطى .

وعلى ما يبدو فان النقد الأدبى فى الشام وفى غيرها أولى المعانى اهتماما كبيرا من ناحية الجودة والرداءة ، أو الخروج على الذوق .

وقد كان أهل البادية آنذاك اقرب والصق فى حياتهم واشعارهم الى روح العصر الجاهلى ، فى فخامة الألفاظ ، وجزالة المعانى ، وتشابه الموضوعات

---

(١) المرزبانى . الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء . (القاهرة ١٣٨٥هـ) ص ١٢٩ .

(٢) ابن قتيبه . الشعر والشعراء . ج ١ ـ ص ٤٧٠ .

صوروا حياتهم خير تصوير ، فوصفوا فى شعرهم الصحراء ، وموارد المياه ، والابل ، وأجادوا فى كل ذلك . فهذا ذو الرمة كان أوصف الشعراء لماله علقة بحياة البادية ، وهذا جميل بن معمر شاعر غزل من نوع آخر غير النوع الذى عرفناه فى مكة والمدينة ، فهو محب متيم يقصد الحب لذاته ، ووصف ما يلاقيه من عذاب الهوى وتباريحه ، دون أن يسلك طرق المتعة والخلاعة . وهو بهذا يتقيد فى غزله بتعاليم الدين وأخلاقه ، ويحاول التمسك بها وعدم الخروج عليها .

ومما تقدم يبدو واضحا أن النقد الأدبى فى العصر الأموى كان يميل الى شىء من التعليل ، والوقوف على سر جمال الشعر ، وان لم يكن ذلك التعليل فنيا دائما ، اذ كان أحيانا يقوم على مراعاة عادات العرب وتقاليدهم فى أشعارهم ، ومن ذلك ما رواه المبرد[1] من أن عمر بن ابى ربيعة والاحوص ونصيبا وكثيرا ، قد اجتمعوا فى مجلس ادبى ، فعاب كثير على ابن ابى ربيعة خروجه على بعض تقاليد العرب فى قوله :

قالت لها اختها تعاتبها * لا تفسدن الطواف فى عمر .

قومى تصدى له ليبصرنا * ثم اغمزيه يا أخت فى خفر .

قالت لها قد غمزته فأبى * ثم امبطرت تشتد فى أثرى .

---

(١) انظر . المبرد . الكامل . القاهرة ١٩٥١ م ، جـ ١ ص ٣٣٢ـ٣٣٣

فقال كثير : " أردت أن تنسب بها فنسبت بنفسك . "

وقد مدح كثير الأحوص في تمشيه مع التقاليد العربية ، وخضوعه لمحبوبته وذلك في قوله :

أدور ولولا أن أرى أم جعفر * بأبياتكم ما دارت حيث أدور .

وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى * اذا لم يزر لابد أن سيزور .

لقد منعت معروفها أم جعفر * وانى الى معروفها لفقير .

لكنه عاد فذم الأحوص حين خرج على تقليد آخر ، حيث رأى منه أن عاطفة الحب لا تستمر عنده في حالة هجر المحبوبة له وذلك في قوله :

فان تصلى أصلك وان تعودى * لهجر بعد وصلك لا أبالى .

وعلق على ذلك بقوله : " أما والله لو كنت من فحول الشعراء لهالت ، هلا قلت مثل ما قال هذا وضرب بيده على جنب نصيب :

بزينب ألم قبل أن يظعن الركب * وقل ان تعلينا فما ملك القلب .

غير أن كثيرا عاب على نصيب قوله :

أهيم بدعد ما حييت فان أمت * فوا حزنا من ذا يهيم بها بعدى .

لأن نصيبا اهتم بمن يخلفه في مكانه منها .

وقد تناقل الناس أمثال هذه الأحكام العامة وما شابهها ، وأخذوا يوازنون بين الشعراء ، وظهرت فكرة الطبقات حينما نظروا الى أصحاب الفن الواحد ليضعوا

كل شاعر منهم فى المنزلة التى يستحق . فجعلوا جريرا وصاحبيه طبقة لايجاريهم احد من معاصريهم ، وقد طور اللغويون هذه النظرة ونموها ، وطبقوها على الاسلاميين والجاهليين .

وقد قدم اللغويون والنحويون آراء ونظرات نقدية قيمة ، حيث استخرجوا من كلام العرب القواعد اللغوية والنحوية ، ووقفوا على طرق العرب واساليبهم فى التعبير وتنوعت دراساتهم ،واهتموا بكل ما يتصل بالشعر من أصول فنية .

الا أن الدراسات اللغوية التى قامت فى خدمة اللغة أخذت ما تحتاجه من الشواهد والأمثلة من الشعر الجاهلى والاسلامى ، وأعرض كثير من اللغويين عن الشعر المحدث مما أحدث صراعا ادبيا بين القديم والمحدث دام زمنا طويلا .(١)

وقد عاصر محمد بن سلام الجمحى كثيرا من علماء اللغة والنحو ، وشاركهم فى تلك الدراسات واخذ عنهم ، وجمع كل ذلك فى كتابه " طبقات فحول الشعراء " الذى عرض فيه تلك النظرات النقدية التى سبقته عرضا علميا منظما ، واضاف اليها بعض آرائه الخاصة ، وكان كتابه اسبق الكتب فى هذا الميدان . لقد عالج ابن سلام اهم القضايا النقدية فى عصره كقضية الانتحال ، واراد ان يعمل على تنقية الشعر ورد كل مصنوع ، ثم بنى كتابه على تقسيم الشعراء الى طبقات ، وانزال كل فى المنزلة التى يستحق . كما تناول اثر البيئة فى الشعر والشعراء ، ودلل على ذلك بتفاوت البيئات فى انتاج الشعر ، الى جانب بعض الاحكام النقدية التى انفرد بها

(١) انظر تفصيل ذلك فى موقف ابن قتيبه من قضية القديم والحديث .

واهتدى اليها بذوقـــه .

ولما كان العصر الأموى عصر جمع التراث ، ورواية الشعر وحفظـــه فان العصر العباسى قد سجل ذلك التراث ، ودونه فى الكتب والمؤلفـــات كما كان هذا العصر عصر الحضارة والثقافة والترجمة والنضوج الفكرى . وقد استجاب الأدب العربى لمطالب المجتمع ، وأسهم غير العرب فى انتاج الأدب ، وتقويمه ، وبدأت مظاهر التغير فى الأدب العربى منذ بداية العصر العباسى . فبعد أن كان الأدب يصور حياة البادية ومشاعر العرب وتطلعاتهم أصبح يصور الحياة الجديدة بكل ما فيها من المظاهر الحضارية ، فاتسم الشعر برقة العبارة ، وتعميق المعانى ، والبعد عن السطحية ، وتناول تقدهم مظاهر التجديد والتطور فى الأدب العربى ، ووضع القواعد التى تعين الناقد على فهم الأحكام النقدية فى شىء من الترتيب والتنظيم ، واستتبع ذلك تطورا ودقة فى الذوق نتيجة التمدن والتحضر . فهذا بشار بن برد يعيب على كثيّر غلظته فى التصوير فى قولـــه :

الا انما ليلى عصا خيزرانـــة * اذا غمزوهـا بالاكف تلـــين .

ويقول : " والله لو جعلها عصا من مخ أو زبد لكان قد هجنها بالعصا ، والاقال كما قلت :

وبيضاء المحاجر من ممد * كان حديثها قطع الجنـــان .
اذا قامت لسبحتها تثنـــت * كان عظامها من خـــيزران . " (١)

---

(١) المبرد ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٨٠ . فى بيت كثيّر نقد لم يفطن له بشـــار . وهو قوله : " اذا غمزوها بالاكف تلين . " فقد جعلها عرضه لكثير من الاكف فكان أحياءها كثير .

ولاشك أن مثل هذا النقد يدل على دقة فى التصوير ، ورهافة فى الحس ، وهو مظهر من مظاهر تطور الذوق فى العصر العباسى الذى لم يرض أن تشبه المحبوبة بالعصا أيا كان لين هذه العصا . كما كان من مظاهر التطور فى هذا العصر تلك الدعوة التى رفع لواءها أبو نواس ، والتى تدعو الى اطراح المطالع التقليدية للقصيدة العربية ، واحلال وصف الخمر محمل ذكر الأطلال (١) . وقد اصبح التاثر بالفكر اليونانى فى هذا العصر ظاهرة جلية ، فقد ترجم الكثير من التراث اليونانى آنذاك الى العربية على نطاق واسع ، فأصبح النقد فى هذا العصر وخاصة فى القرن الثالث الهجرى متشعب الجوانب مختلف الأمزجة متباين المناحى ، متاثرا بكل مظاهر العصر ، دونت فيه أهم النظرات النقدية القيمة التى اضافت الى ما تقدمها من النظرات التنظيم ، وتحليل بعض المظاهر الأدبية . فهو نقد موضوعى يقوم على التعليل ، ويحاول التقنين للقواعد النقدية التى تعين الناقد على اصدار الحكم الصحيح .

لقد اشتركت فى النقد فى هذه الفترة ذهنيات مختلفة ، فتكونت لكل ذهنية اتجاهات ومناح خاصة فى ميدان النقد .

كان هناك منحى اللغويين ، وكان هؤلاء من أنصار القديم ، يقوم نقدهم على

---

(١) انظر فى ذلك . موقف ابن قتيبه من القديم والحديث .

خدمة اللغة في تقويم الشعر بما يتصل به من اخطاء صرفية ، أو نحوية ، أو عروضية وقد كانت لهم نظرات فنية تمس عناصر الجمال في النص الأدبي . وهذه النظرات ذاتية تتأثر بميل الناقد ، وذوقه ، وثقافته ، وكان ممن يمثل هذا المنحى أبو العباس ثعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ وأبو العباس المبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ وغيرهما من علماء القرن الثالث الهجري(١) .

وقد قدم المبرد صورة واضحة لمنحى اللغويين في القرن الثالث ، واتجاههم في النقد ، وذلك في باب التشبيه من كتاب الكامل . فقد اختار في هذا الباب خير ما عرف للعرب من التشبيه المصيب عند القدماء والمحدثين ، ثم عرض لكثير مما أورد بالنقد والحكم ، مبينا وجوه الاستحسان او الاستهجان في ذلك . يقول في التشبيه : " فأحسن ذلك ما جاء بإجماع الرواة ما مر لامرئ القيس في كلام مختصر اى بيت واحد ، من تشبيه شيء في حالتين بشيئين مختلفين وهو قوله :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى . "(٢)

ويعقب على ذلك بقوله : " فهذا مفهوم المعنى ، فان اعترض معترض فقال : فهلا فصل فقال : كأنه رطبا العناب ، وكأنه يابسا الحشف ، قيل له : العربى الفصيح الفطن اللقن يرمى بالقول مفهوما ، ويرى ما بعد ذلك من التكرير عيا . "(٣)

---

(١) لقد كان مصدر اللغويين في روايتهم للشعر في القرن الثالث الهجرى ما سجله اسلافهم من اللغويين الذين سبقوهم ، بالاضافة الى اعتمادهم في بعض روايتهم على فصحاء الاعراب الذين يفدون على الحواضر . فقد اخذ المبرد عن المازنى وابى حاتم السجستانى وغيرهما . كما اخذ ثعلب عن محمد بن زياد الاعرابى ومحمد بن سلام الجمحى .

(٢) المبرد . الكامل — ج ٢ ص ٣٥ — ٣٦

(٣) المصدر السابق . ج ٢ ص ٣٦ .

ثم يقول : " ومن تمثيل امرئ القيس المجيب قوله :

اذا ما الثريا فى السماء تعرضت * تعرض اثناء الوشاح المفصل

وقد اكثر الناس فى الثريا فلم يأتوا بما يقارب هذا المعنى ، ولا بما يقارب سهولة هذه الالفاظ ." (١) ويورد لأبى نواس قطعة من التشبيه فى صفة الخمر ثم يعقب عليها بقوله : " فهذه قطعة من التشبيه غاية على سخف كلام المحدثين ." (٢)

وهكذا يمضى المبرد فيورد تشبيهات كثيرة لشعراء متقدمين كالنابغة وذى الرمة وعلقمة الفحل وغيرهم حتى يصل الى المحدثين فيورد لبشار وابى نواس ومسلم بن الوليد وغيرهم .

ولم يكتف المبرد بنقد التشبيه من حيث جودته أو رداءته بل تعداه الى الحديث عن الشعراء ومذاهبهم فى الشعر . يذكر أن ابا نواس من اكثر المحدثين تشبيها ويعزو ذلك الى اتساعه فى القول وكثرة تفننه واتساع مذاهبه (٣) .

وقد كان من ابرز خصائص نقد اللغويين ايثارهم للشعر القديم لا لشئ الا لحاجتهم الى الشاهد وقلة ثقتهم بما يأتى به المولدون اذ راوا أن اسلم اللغة ما تكلم به القدماء . وكان هناك منحى الادباء والشعراء الذى اهتم بالمحدث واولاه عناية كبيرة . فقد ظهرت المدرسة البيانية التى تفننت فى البديع وبدأت ببشار الذى كان يعد راسا لها وكان من ابرز رجالها ابن هرمة ، والمتنابى ، ومنصور النمرى ، وابو نواس ، ومسلم بن الوليد ، وابو تمام . وقد اخذ هؤلاء الشعراء

---

(١) المبرد . الكامل . جـ ٢ ص ٦٠
(٢) المصدر السابق جـ ٢ ص ٤٥
(٣) المصدر السابق . جـ ٢ ص ٩١

يصورون الحياة الجديدة التى شهدها العصر العباسى أحسن تصوير فاتسم شعرهم برقة العبارة وتعميق المعانى واخذوا فى زخرفة الصياغة والاكثار من البديع والتفنن فيه.

كما اخذ اصحاب هذا الاتجاه يعنون بتحليل الشعر المحدث والوقوف على اهم خصائصه واشاروا الى مواطن الجودة او الرداءة فيه ووازنوا بينه وبين الشعر القديم وادركوا ما بين المذهبين الشعريين من تفاوت . ولعل الصراع النقدى الذى دار حول مذهب ابى تمام فى الشعر الذى اغرق فى الاستعارات البعيدة حتى شغل النقاد فى القرن الثالث لعل ذلك الصراع يعطينا صورة واضحة للنقد الادبى عند الأدباء المحدثين . وكان خير من يمثل هذا الاتجاه فى النقد ابن المعتز المتوفى سنة ٢٩٠ هـ الذى اهتم بنقد المحدثين وكتب رسالة فى محاسن شعر ابى تمام ومساوئه. والمنحى الثالث الذى يمثله العلماء المتأثرون بمنطق أرسطوطاليس (١) ، وهؤلاء حاولوا أن يضعوا مقاييس ثابتة لنقد الشعر تعتمد التقنين والتقعيد . وقد سبقت هذه المرحلة — مرحلة التقنين — المرحلة المنهجية التى يمثلها الآمدى والجرجانى والتى اكتملت بعبد القاهر . فهذا الاتجاه الثالث اجنبى محض ، لا يتصل بالقديم ، ولا يركن الى اصوله ، فهو يستمد

---

(١) فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى ترجم اسحاق بن حنين كتاب الخطابة لأرسطو ، وقد قراه قدامة وانتفع باصوله فى نقد الشعر العربى .

قواعده الأساسية من اليونان . وكان ابو الفرج قدامة بن جعفر صاحب كتاب نقد الشعر أصدق مثال لهذا المنحى ، فقد حاول أن يفسر الشعر العربي باصول من البلاغة والنقد عند اليونان ، بالرغم من أن الأدب العربي له طبيعته الخاصة وتقاليده ، وحالاته الاجتماعية التي لا يمكن بحال من الاحوال أن تخضع لاصول اجنبية تختلف معها في المذاهب والمناحي وطرق التفكير.

وهناك المنحى الرابع . ويتمثل في مذهب العلماء الذين جمعوا بين القديم والحديث في اعتدال . فقد اخذوا نصيبا كبيرا من التراث العربي قديمه وحديثه وشاركوا في العلوم الثقافية الاجنبية ، فتأثروا بالفلسفة والبلاغة والمنطق فقاموا بتنظيم الافكار النقدية التي وصلتهم من القدماء ، ووضعوها في أصول وقواعد ، ثم أضافوا اليها بعض نظراتهم النقدية الحديثة ، فجاء لهم ذوق خاص في نقد الأدب ، وكانوا معتدلين في نظراتهم وفي أحكامهم النقدية ، يحاولون التوفيق بين الاتجاهات النقدية المتشعبة . وخير من يمثل هذا المذهب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ . وأبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة.

كان ابن قتيبة عالما متفننا في مختلف العلوم تجلت عناصر ثقافته في مؤلفاته بصفة عامة ، وتجلت في كتاب " عيون الاخبار " بصفة خاصة . فقد جمع في هذا الكتاب بالاضافة الى الثقافة العربية الاسلامية ثقافات أخرى كثيرة ، مثل الفارسية والهندية ، والنبطية ، والسريانية ، واليونانية ، والكتب المقدسة.

ولقد اتخذ ابن قتيبة لنفسه موقفا خاصا فى نقد الأدب ، فنظم الأفكار النقدية التى وصلته من القدماء ، ووضعها فى أصول وقواعد ، وأضاف اليها بعض نظراته النقدية التى انفرد بها ، واتصف بموقفه التوفيقى فى كثير من القضايا النقدية التى عالجها . وقد طالب ابن قتيبة الأدباء بالتوازن فى مجالات المعرفة وحاول أن يفرق بين الروح العلمية والذوق الأدبى ، فرأى أن انصراف الأديب الى المصطلحات الفلسفية وعلوم المنطق يبعده عن تذوق الأدب . فقال : " فانى رأيت اكثر اهل زماننا هذا عن سبيل الأدب ناكبين ، ومن اسمه متظيرين ولأهله كارهين .... فأبعد غايات كاتبنا فى كتابته أن يكون حسن الخط قويم الحروف وأعلى منازل اديبنا أن يقول من الشعر ابياتا فى مدح قينة أو وصف كأس ، وأرفع درجات لطيفنا أن يطالع شيئا من تقويم الكواكب ، وينظر فى شىء من القضاء وحد المنطق ، ثم يعترض على كتاب الله بالطعن وهو لا يعرف معناه ، وعلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب وهو لا يدرى من نقله ... ولو أن هذا المعجب بنفسه الزارى على الاسلام برأيه نظر من جهة النظر لأحياه الله بنور الهدى وثلج اليقين ، ولكنه طال عليه أن ينظر فى علم الكتاب ، وفى اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته ، وفى علوم العرب ولغاتها وآدابها فنصب لذلك وعاداه وانحرف عنه الى علم قد سلمه له ولأمثاله المسلمون ، وقل فيه المتناظرون ، له ترجمة تروق بلا معنى ، واسم يهول بلا جسم . "(١)

ومع ذلك لم يسلم ابن قتيبة من تلك الروح العلمية التى دعى الى عدم التوغل فيها ، والتى طغت على بعض نظراته النقدية التى عالجها فى كتاب الشعر والشعراء .

---

(١) ابن قتيبة . ادب الكاتب (مصر ١٣٨٢هـ — ١٩٦٣م) المقدمة . ص ١ — ٣ .

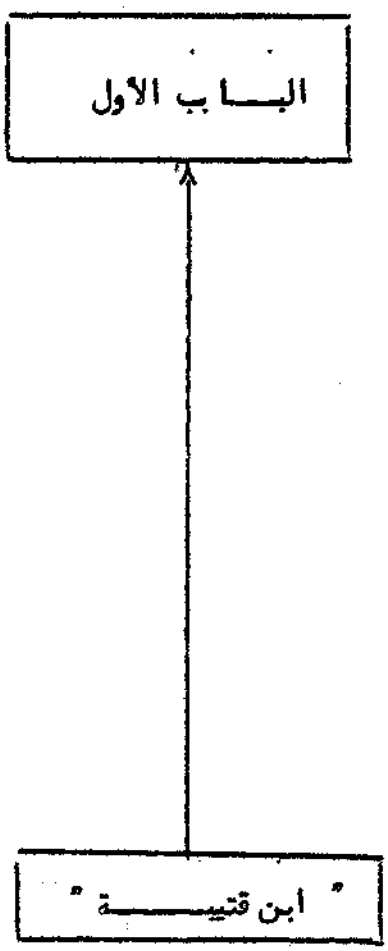
البـــاب الأول
" ابن قتيبـــــة "

(الفصـــــل الأول)

* ابن قتيبـــــة *

﴿ حياتـــــه وآثـــــاره ﴾

هو ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة[1] الدينوري ، لم تحدثنا كتب المراجع عن ابيـــه مسلم وكل ما نعرفه عنه هو اسمه فقط . الا ان ابا محمد قد ذكـــر

---

(١) كل المراجع تذكره بهذا الاسم ما عدا الترجمة العربية لدائرة المعـــارف الاسلامية " القاهرة ١٣٥٣هـ ـ ١٩٣٤م " جـ ١ ص ٢٦٠ فانها تسميـــه " ابا عبد الله محمد بن مسلم بن قتيبه المروزى .

وقد تناولت الكتب التالية ترجمة ابن قتيبة وتسجيل آثاره :

الخطيب البغدادى . تاريخ بغداد (مصر ١٣٤٩هـ ـ ١٩٣١م) . جـ ١ ـ ص ١٧٠ ـ ١٧١ . ابن الاثير . اللباب (مصر ١٣٥٦ هـ) جـ ٢ ص ٢٤٢ .
ابن النديم . الفهرست (مصر ١٣٤٨ هـ) ص ١١٥ ـ ١١٦ .
ابن خلكان . وفيات الأعيان . (مصر ١٣١٠ هـ) جـ ١ ص ٣١٤ ـ ٣١٥ .
ابن الأنبارى . نزهة الالباء . (مصر ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٧ م) ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ .
عمر رضا كحاله . معجم المؤلفين . (دمشق ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨ م) جـ ٥ ص ١٥ .
السيوطى . بغيـة الوعاة . (مصر ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٥م) جـ ٢ ص ٦٣ ـ ٦٤ .
والمزهـــر . (مصر بدون تاريخ) جـ ٢ ص ٤٦٥ .
ابن الجوزى . المنتظم . (حيدرأباد ١٣٦٠هـ) جـ ٥ ص ١٠٢ .
العسقلانى . لسان الميزان (حيدر أباد ١٣٣٠هـ) جـ ٣ ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨ .
الأزهـــرى . تهذيب اللغة (مصر ١٣٨٤ ـ ١٩٦٤م) جـ ١ ص ٣٠ ـ ٣١ .
النووى . تهذيب الأسماء واللغات (مصر بدون تاريخ) جـ ٢ ص ٢٨١ .
ابن الأثـير . الكامل فى التاريخ (بيروت ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥ م) جـ ٧ ، ص ٤٣٨ .
ابن تغرى بردى . النجوم الزاهره (مصر ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢ م) جـ ٣ ، ص ٧٥ ـ ٧٦ .
ابن كثـير . البداية والنهاية فى التاريخ (مصر ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م) جـ ١١ ، ص ٤٨ ـ ٥٧ .
القفطى . انباه الرواة (مصر ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م) جـ ٢ ص ١٤٣ .
الذهبى . تذكرة الحفاظ (حيدر أباد ١٣٣٣ هـ) جـ ٢ ص ١٨٧ .
العبرفى خبر من غبر (الكويت ١٩٦١ م) وميزان الاعتدال (مصر ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٣) جـ ٢ : ص ٥٠٣ .

ابن العماد ٠ شذرات الذهب (مصر ١٣٥٠ هـ) جـ ٢ ٠ ص ١٦٩ ٠
ابو الطيب اللغوى ٠ مراتب النحويين (مصر ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥ م) ص ٨٤ ـ ٨٥ ٠
السمعانى ٠ الأنساب (طبعة بالزنكوغراف ١٩١٢ م) ص ٤٤٣ ٠
اليافعى ٠ مراة الجنان " بيروت ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م " جـ ٢ ص ١٩١ ٠
اسماعيل باشا البغدادى ٠ هدية العارفين (طبعة بالأوفست طهران ١٣٨٧ هـ) ص ٤٤١ ٠
احمد امين ٠ ضحى الاسلام (مصر ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦ م) جـ ١ ص ٤٢٥ ٠
الزركلى ٠ الأعلام (مصر ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٤ م) جـ ٤ ٠ ص ٢٨٠ ٠
البستانى ٠ دائرة المعارف (بيروت ١٩٦٠) جـ ٣ ٠ ص ٤٤٩ ٠
مجلة تراث الانسانية (القاهرة ١٩٦٤ م) جـ ٢ ٠ ص ٣٣٠ وما بعدها ٠
سلسلة أعلام العرب ٢٢ (مصر ١٩٦٣ م) ٠
سلسلة نوابغ الفكر العربى ١٨ (مصر ١٩٦٥ م) ٠
وانظر التعريف به فى كتبه التالية :ـ
مقدمة الجزء الرابع من عيون الأخبار (مصر ١٣٤٣ هـ ـ ١٩٢٥ م نسخة بالأوفست ١٩٧٣م)
ومقدمة كتاب الميسر والقداح (القاهرة ١٣٨٥ هـ) ومقدمة تأويل مشكل القرآن (مصر ١٣٩٣ ـ ١٩٧٣ م) ٠
ومقدمة كتاب المعارف (مصر ١٩٦٩ م) ومقدمة كتاب ادب الكاتب ٠

انه أخذ عنه في بعض كتبه (١) ، وان كان ما أخذه عنه قليلا .

وينحدر ابن قتيبه من اصل فارسي وقد صرح بذلك في قولـه محاجـا الشعوبيـة : (٢) " فلا يمنعني نسبي في العجم أن ادفعها عما تدعيه لها جهلتها " .

ويقال له " القتيبـي " او " القتبي " نسبة الى جده قتيبه ، كمـا يلقب ايضا بلقب " المروزي " لأن والده من مرو .

أما نسبته الى الدينور (٣) فلأنه ولي قضاءها فترة من الزمن فنسب اليهـا . ولم تحدد المراجع التي كتبت عنه تلك الفترة التي اشتغل فيها بالقضاء في الدينـور ، ولم يشـر هو في كتبه الى تلك الاقامة . والمعروف عن ابن قتيبـه انه لم يكن علـى صلة كبيرة بعظماء الدولة العباسيـة ، اللهم الا علاقته بوزير المتوكل والمعتمـد " ابي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان " الذي أهدى له ابن قتيبـه كتابه " ادب الكاتب " كما اشار الى ذلك في مقدمة الكتاب (٤) . ولعل تلك الصلـة بالوزير العباسي هي التي مكنته من تولي قضاء الدينور كما أشار الى ذلك ابن السيد البطليوسـي (٥) .

---

(١) انظر . ابن قتيبه . عيـون الأخبار . جـ ١ ص ١٤٢ . وجـ ٢ ص ٣٠٧ .
(٢) محمد كرد علي . رسائل البلغاء (كتاب العرب) " مصر ١٣٣١ هـ — ١٩١٣م " ص ٢٦٩ .
(٣) الدينور بكسر الدال وسكون الياء وفتح النون والواو . مدينة من اعمال الجبـل قرب قرميسين " انظر . ياقوت الحموي . معجم البلدان " بيروت ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م " جـ ٢ . ص ٥٤٥ و " القفطي . انباه الرواة . جـ ٢ . ص ١٤٣ — ١٤٤ . " و " الترجمة العربية لدائرة المعارف الاسلامية . جـ ٩ . ص ٣٧٢ — ٣٧٣ . "
(٤) انظر . ابن قتيبه . ادب الكاتب . المقدمة . ص ٥ .
(٥) انظر . ابن السيد البطليوسي . الاقتضاب في شرح ادب الكتاب " بيروت ١٩٠١م " ص ٢٤ .

× × × ×

على أن كثيرا من الذين ترجموا لابن قتيبة لم يهتموا بذكر السنة التى ولد فيها ، أما الذين اهتموا بمولده فيجمعون على أنه ولد سنة ٢١٣ هـ . ولا خلاف بينهم فى ذلك .

الا أنهم اختلفوا فى مكان الولادة . فابن الاثير وابن النديم وابن الانبارى يذهبون الى انه ولد فى الكوفة ، ولذلك يطلق عليه لقب " الكوفى " وقال آخرون (١) : ان مولده كان فى بغداد .

وكما اختلف المؤرخون فى البلد الذى ولد فيه اختلفوا كذلك فى السنة التى مات فيها .

وقد ذكر ابن خلكان " ٦٨١ هـ " اختلاف المؤرخين حول وفاة ابن قتيبة فقال : " انه توفى فى ذى القعدة سنة سبعين ، وقيل سنة احدى وسبعين ، وقيل أول ليلة من رجب وقيل منتصف رجب سنة ست وسبعين ومائتين (٢) . "

ثم يرجح ابن خلكان أن القول الأخير هو أصح الاقوال ، وهو ما أخذ به جل من ترجموا لابن قتيبة . ولعل مما يؤيد ترجيح ابن خلكان ومن وافقه من المؤرخين ما رواه ياقوت فى معجم البلدان عن بلدة " بيانة " وهى بلدة

---

(١) انظر السمعانى . الأنساب : ص ٤٤٣ . والقفطى . انباه الرواة : جـ ٢ : ص ١٤٣ .

(٢) ابن خلكان . وفيات الأعيان : جـ ١ : ص ٣١٥ .

اندلسية من أن قاسم بن اصبغ بن يوسف البيانى رحل منها الى المشرق سنة ٢٧٤ هـ وأخذ عن جماعة من علمائه منهم ابن قتيبة (١) .

× × × ×

ويحيط الغموض بنشأة ابن قتيبة الاولى اذ لا نعرف شيئا عن طفولته ولا صباه ، وكل ما نعرفه انه قضى معظم حياته فى بغداد يأخذ عن علمائها ، كما قضى فترة من حياته فى " الدينور " ولقد عاش اكثر حياته فى بغداد وهى يومئذ حاضرة الدولة العباسية وملتقى العلماء فى كل فن ، وموطن رواد المعرفة من جميع اقطار الدولة الاسلامية الواسعة ، وبذلك ، اثرت حياة بغداد العلمية فى نشأته الفكرية ، فكان له سهم وافر من كل لون من الوان العلوم ، وكان به شغف بأن يتعلق من كل علم بسبب اذ كان هذا هو الطابع العام للثقافة العربية الاسلامية فى عصره فهو يقول : " وقد كنت فى عنفوان الشباب وتطلب الآداب احب أن اتعلق من كل علم بسبب وأن اضرب فيه بسهم " (٢) فجد فى تحصيل العلم على علماء الحديث واللغة والادب والرواية وكان من اشهر شيوخه .

احمد بن سعيد اللحيانى . صاحب ابى عبيد القاسم بن سلام ، فقد قرأ عليه ابو محمد كتابى " الأموال " و " غريب الحديث " لأبى عبيد فى سنة ٢٣١ هـ .

---

(١) ياقوت الحموى . معجم البلدان : جـ ١ : ص ٥١٨ .
(٢) ابن قتيبة . تأويل مختلف الحديث : (مصر ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م) : ص ٦١

وابو عبد الله محمد بن سلام الجمحى " سنة ٢٣١ هـ "

وابن راهويه أبو يعقوب اسحاق بن ابراهيم " ٢٣٨ هـ "

وأبو عبد الله حرملة بن يحيى التجيبى " ٢٤٣ " هـ

والزيادى ابو اسحاق ابراهيم بن سفيان " ٢٤٩ هـ "

والسجستانى ابو حاتم سهل بن محمد " ٢٤٨ هـ " او " ٢٥٥ هـ "

وابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ " ٢٥٥ هـ "

وابو الفضل العباسى بن الفرج الرياشى " ٢٥٧ هـ "

وعبد الرحمن بن عبد الله بن قريب " ابن اخى الأصمعى " .

فقد اخذ ابن قتيبه عن هؤلاء العلماء كما اخذ عن غيرهم ممن ذكرهم فى كتبه وقد كانوا يمثلون الوانا مختلفة من العلوم الانسانية التى استوعبها ابن قتيبة فالف فى كل فن واقرأ كتبه ببغداد الى حين وفاته (١) ، وانتفع بها كثير ممن اخذ العلم عنه وكان من ابرز تلاميذه .

احمد بن مروان المالكى " ٢٩٨ هـ "

واحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة " ٣٢٢ هـ " .

وابو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوى " ٣٣٥ هـ "

وابو القاسم عبيد الله بن احمد بن بكر التميمى " ٣٣٤ هـ " .

---

(١) انظر ابن العماد . شذرات الذهب : جـ ٢ ص ١٦٩ والخطيب البغدادى . تاريخ بغداد : جـ ١٠ : ١٧٠ .

وابو القاسم ابراهيم بن محمد بن ايوب بن بشير الصائغ " ٣١٣ هـ " .

وابو محمد عبيد الله بن عبد الرحمن السكرى " ٣٢٣ هـ " .

وابو سعيد الهيثم بن شريح الشاشى الاديب" ٣٣٥ هـ " .

وابو محمد قاسم بن اصبغ بن يوسف البيانى الاندلسى " ٣٤٠ " هـ

ولقد شارك ابن قتيبة علماء عصره فى كل فنون العلم والمعرفة ، غير ان ذلك لم يعصمه من اتهام بعض العلماء له فى عقيدته وعلمه ، فكان بذلك موضع خلاف بين كثير من العلماء فى الناحيتين الدينية والعلمية .

وقد صحح دينه ووثقه جلة من العلماء . فقد جعله ابن تيميه " لاهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة . " (١)

وقال الخطيب البغدادى فى ابن قتيبة : " وكان ثقة دينا فاضلا . " (٢)

وقال ابن النديم : " وكان صادقا فيما يرويه عالما باللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه ، والشعر والفقه . " (٣)

ويقول ابن خلكان : " كان فاضلا ثقة . " (٤)

وقال ابن الجوزى : " وكان عالما ثقة دينا فاضلا . " (٥)

---

(١) ابن تيميه . تفسير سورة الاخلاص . (مصر ١٣٥٢ هـ) ص ١٢١
(٢) الخطيب البغدادى . تاريخ بغداد . جـ ١٠ . ص ١٧٠ .
(٣) ابن النديم . الفهرست . ص ١١٥ .
(٤) ابن خلكان . وفيات الأعيان . جـ ١ . ص ٣١٤
(٥) ابن الجوزى . المنتظم . جـ ٥ ص ١٠٢ .

وقال الحافظ الذهبى : " أبو محمد صاحب التصانيف صدوق قليل الرواية ." (١)

وقال ابن كثير فى القتيبى : " صاحب المصنفات البديعة المفيدة ، المحتوية على علوم جمة نافعة . " (٢)

وعلى هذا اكثر العلماء الذين ترجموا لابن قتيبة . غير أن هناك آخرين اتهموه فى عقيدته محاولين بذلك الانتقاص منه والغض من شخصيته بالتشهير به . فقد روى ابن تغرى بردى عن البيهقى قوله فى ابن قتيبه : أنه " كان يرى رأى الكرامية " (٣) . ويروى السيوطى عن الدار قطنى أن ابن قتيبة " كان يميل الى التشبيه " (٤) . على أن البيهقى والدار قطنى متأخران يفصل بينهما وبين ابن قتيبة اكثر من قرن من الزمن ومن هنا لا يوثق بانتهما مهما اياه بالزيغ . ولو أن ابن قتيبه كان يرى راى الكرامية او كان يميل الى التشبيه لأخذ ذلك عليه من عاصره من العلماء ، ومما يدفع ذلك الاتهام ايضا اشتغال ابن قتيبة بالقضاء واتصافه بالفضل والوقار ، كما انه كان فى مؤلفاته شديد الاخلاص للاسلام والمسلمين يخص العرب دائما بالفضل لأن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث فيهم .

---

(١) الذهبى . ميزان الاعتدال . جـ ٢ . ص ٥٠٣ .
(٢) ابن كثير . البداية والنهاية فى التاريخ . جـ ١١ . ص ٤٨ .
(٣) ابن تغرى بردى . النجوم الزاهره . جـ ٣ . ص ٧٦ .
(٤) السيوطى . بغية الوعاة . جـ ٢ . ص ٦٣ .

وبذلك كان خير مدافع عن الدين وعن العرب . ثم ان جلة من كتبوا عن ابن قتيبة وثقوه من جهة عقيدته كما أوردنا بعض اقوالهم فيه كابن تيمية والخطيب البغدادى وابن النديم وابن خلكان وابن الجوزى وغيرهم . ومن الأدلة الواضحة على توثيق عقيدة ابن قتيبة كتبه الدينية التى تدل على استقامته وفضله ووقاره وحرصه على الدفاع عن الاسلام .

وكيف يمكن لهؤلاء الذين اتهموا ابن قتيبة فى عقيدته أن يوفقوا بين ما قدموا من اتهام وبين ما كان لهذا المتهم من مساهمة فعالة فى الرد على المشبهة حيث صنف كتابا فى هذا الغرض سماه " الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة "(١) وقد نسب المشبهة الى الافتراء على الله فى احاديث التشبيه .

أما فيما يتعلق باتهامهم لابن قتيبة فى علمه فقد نسبه ابن الانبارى كما روى الأزهرى " الى الغفلة والغباوة وقلة المعرفة "(٢) .

وقال ابو الطيب : ((وكان ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى اخذ عن ابى حاتم والرياشى وعبد الرحمن بن اخى الأصمعى . وقد أخذ ابن دريد عن هؤلاء كلهم وعن الأشناندانى ، الا أن ابن قتيبه خلط عليه بحكايات عن الكوفيين لم يكن أخذها عن ثقات ، وكان يشرع فى أشياء لا يقوم بها نحو تعرضه لتأليف كتابه

---

(١) انظر ابن قتيبة . تأويل مختلف الحديث ص ٧ — ١٣ .

(٢) الازهرى . تهذيب اللغة . جـ ١ ص ٣١ .

فى النحو وكتابه فى تعبير الرؤيا ، وكتابه فى معجزات النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، وعيون الأخبار ، والمعارف والشعراء ، ونحو ذلك مما أزرى به عند العلماء ، وان كان نفق بها عند العامة ومن لا بصيرة له "(١).

وروى ابن تغرى بردى قال : " وكان خبيث اللسان يقع فى حق كبار العلماء "(٢). يعنى ابن قتيبة . لقد كان ابن قتيبة ثقة فى علمه طرق كل الوان الثقافة التى برزت فى عصره ، فكانت مؤلفاته بديعة مفيدة احتوت على معارف كثيرة ، افاد منها الخلف بعده . وعلى ذلك فهو لم يتهم فى علمه من معاصريه كما وثقه فى ذلك اكثر من ترجموا له .

ويظهر أن هؤلاء قد ارادوا من ابراز تلك المآخذ الانتقاص من شخصية ابن قتيبة ومكانته العلمية(٣) ، ومما لا شك فيه ان ابن قتيبة كان واسع الاطلاع عالما باللغة والشعر والنحو وغريب القرآن ومعانيه بالاضافة الى تزوده بالثقافات الاجنبية التى عرفها عصره ، فهو كما يقول احمد امين : " يعرف كثيرا ويجمع كثيرا ويؤلف كثيرا "(٤). الا أنه لم تكن له تلك الشخصية القوية القادرة على هضم كل المعارف التى جمعها والفها . كما انه كثيرا ما يعتمد النقل فى مؤلفاته كما يظهر ذلك جليا فى

---

(١) ابو الطيب ، مراتب النحويين . ص ٨٤ ــ ٨٥

(٢) ابن تغرى بردى . النجوم الزاهرة . جـ ٣ . ص ٧٦ .

(٣) تناول السيد احمد صقر فى مقدمة نشرته لكتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة " ص ٤٥ ــ ٧٦ " موضوع اختلاف العلماء حول ابن قتيبة جرحا وتعديلا ووازن بين الأقوال المختلفة موازنة دقيقة وانتهى الى تأييد آراء من وثقوه مستدلا على ذلك بأدلة قاطعة من مؤلفات ابن قتيبة نفسه .

(٤) احمد امين . ضحى الاسلام . جـ ١ . ص ٤٢٥ .

كتاب عيون الاخبـار وربما كان هذا هو السبب فى طعن اولئك المؤلفين عليه.

اما ما وصفه به ابن تغرى بردى من انه كان خبيث اللسان ، وانه يقع فى حـق كبار العلماء فذلك مالا يتفق مع شخصية ابن قتيبة العالم الذى اتصـف بالفضل والوقار والخلق الكريم . وقد أنكر ابن قتيبة هذا الخلق من غيره اذ قـال فى مقدمة ادب الكاتب : " ونحن نستحب لمن قبل عنا وائتم بكتبنا أن يؤدب نفسه قبل أن يؤدب لسانه ،ويهذب اخلاقه قبل أن يهذب الفاظه ،ويصون مروءتـه عن دناءة الغيبـة ، وصناعته عن شين الكذب ." (١) ثم قال فى موضع آخـر " فاما السباب وشتم السلف ، وذكر الاعراض بكبير الفواحـش فمما لا نرضاه لخساس العبيد وصغـار الولدان." (٢)

---

(١) ابن قتيبة . ادب الكاتب . المقدمة . ص ١١ .
(٢) المصدر السابق . المقدمـة . ص ١٢ .

x x x x x

كانت الحياة التى نشأ فى ظلها ابن قتيبة فى بغداد حياة علمية اتسمت بحركة فكرية واسعة جمعت بين التراث العربى وبين آثار الأمم الاجنبية فتأثر ابن قتيبة بتلك الحياة العلمية. فقد درس الثقافة العربية ووقف على كثير من الثقافات الأجنبية التى برزت فى عصره ، فتناول فى مؤلفاته الوانا من المعرفة ، وكان فى كل ذلك يحاول أن يحيط بكل علوم العصر شأنه فى ذلك شأن الجاحظ وغيره من علماء ذلك العصر .

وقد اشترك فى النزاع بين أهل السنة والمعتزلة وكان من رؤساء اهل السنة وأدلى بدلوه فى مشكلة خلق القرآن التى نماها المتكلمون بعد أن مال الى جانبهم المأمون فقويت شوكتهم . وقد انكر عليهم جلة علماء المسلمين تلك البدعة — وكان من بين المنكرين ابن قتيبة ، وألف فى ذلك كتابا سماه " الرد على القائل بخلق القرآن " كما بسط رأيه فى تلك المشكلة فى كتابه " الاختلاف فى اللفظ والرد على المشبهة والجهمية" . ووقف من أهل الرأى موقف العداء ، وحمل عليهم حملات شديدة فى كتابه " تأويل مختلف الحديث " وكان يناقشهم مناقشة علمية سليمة يوضح لهم فيها فساد آرائهم وأحكامهم وتناقضها .

كما شارك فى الرد على الشعوبية[1] عندما استفحل أمرها ، وحاولت أن —

---

(١) انظر . ابن عبد ربه . العقد الفريد : (القاهرة ١٣٧٢ هـ — ١٩٥٢) جـ ٣ ص ٤٠٨ — ص ٤٠٩ . ومحمد كرد على . رسائل البلغاء : (كتاب العرب) ص ٢٦٩ — ٢٩٥ .

تنتقص من العرب ، وقد ألف ابن قتيبة كثيرا من الكتب الدينية التي تناولت شرح مشكل القرآن والحديث والفقه .

وكان الى جانب تبحره في العلوم الدينية اديبا واسع الاطلاع ، وقد قرر مفهوم الأدب على اساس أن الاديب من طرق فنونا كثيرة من العلم ، فهو يقول : " من أراد أن يكون عالما فليطلب فنا واحدا ، ومن اراد أن يكون اديبا فليتسع في العلوم . "(١) ولذلك فقد استأثرت الناحية الادبية من لغة وشعر ومعارف عامة بجهود ابن قتيبة ، فقد شارك بالاضافة الى ما تقدم في الخلاف النحوي الذي نشأ بين علماء البصرة وعلماء الكوفة ، وعده بعضهم رأس المدرسة البغدادية(٢) التي قامت بين مدرستي البصرة والكوفة . وقد شرح غريب القرآن والحديث ، وألف كتابه " ادب الكاتب " في اللغة . كما تناول في بعض كتبه المعارف العامة ، والانساب والاحداث التاريخية والأخبار ، وكأنه بذلك اراد أن يساير من نهجوا هذا المنهج من معاصريه في محاولتهم الاحاطة بكل معارف العصر ، كالجاحظ مثلا الذي تأثر به ابن قتيبة(٣) وسار على طريقته في كثير مما كتب .

أما فيما يتصل بالشعر ونقده ، فانه قد جمع في كتبه الأدبية مادة غزيرة

---

(١) ابن عبد ربه . العقد الفريد . (مصر ١٣٥٩ ـ ١٩٤٠) جـ ٢ ص ٢٠٨

(٢) انظر بروكلمان . تاريخ الأدب العربي (مصر . ١٩٦٨) جـ٢ ص ٢٢١ . ، والترجمة العربية لدائرة المعارف الاسلامية ـ ج١ ـ ص ٢٦٠ ـ ٢٦١ .

(٣) لقد تأثر ابن قتيبة بالجاحظ في شغفه بأن يلم في كتبه بجميع فنون المعرفة كما نقل عن الجاحظ في بعض كتبه . حيث يقول في " عيون الاخبار " : " ومما أجاز لنا عمرو بن بحر الجاحظ من كتبه قال : .. " " ابن قتيبه . عيون الاخبار " جـ ٣ ص ١٩٩ ، ٢١٦ ، ٢٤٩ . وانظر تأثر ابن قتيبة بالجاحظ في كتاب . " عبد الحكيم بلبع . النثر الفني واثر الجاحظ فيه (القاهرة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م) ص ٢٧٥ ـ ٢٨٠ .

من أشعار الشعراء دلت على علو كعبه فى هذا الفن ، فقد أورد فى " عيون الأخبار " كثيرا من الأشعار المشاكلة لما يورده من الأخبار والنوادر اضف الى ذلك ما جمعه من اخبار الشعراء ، وأشعارهم فى الكتب الأدبية الأربعة التى أفردها عن كتاب " عيون الأخبار "[1] ، ثم جمع غريب الشعر فى كتاب كبير سماه " كتاب المعانى الكبير " وخص هذا الكتاب بناحية واحدة هى : شرح المعانى الغريبة فى الشعر ، وكأنه أراد بعمله هذا أن يجعل من دراسة لغة الشعر مقدمة لنقده . ومن مظاهر اتساع ثقافته الأدبية ان ترجم لمائتين وستة من الشعراء فى كتاب " الشعر والشعراء " فتحدث عن اخبارهم وأشعارهم منذ العصر الجاهلى حتى النصف الاول من القرن الثالث الهجرى . ولذلك تعتبر كتبه الأدبية من أهم المراجع القديمة فى تاريخ الأدب .

وقد برزت شخصية ابن قتيبة الناقد فى تلك المقدمة القيمة التى صدر بها كتاب الشعر والشعراء والتى أودعها آراءه النقدية التى جمعها من سابقيه ، الى جانب بعض النظرات النقدية التى انفرد بها .

ولا شك أن عمله فى النقد كان خطوة موفقة الى الأمام ، الا انه حاول فيها ان يجعل للنقد قواعد ثابتة ، فمهد بذلك لقاعدة التقنين والتقعيد فى النقد

---

(١) انظر ابن قتيبة . عيون الاخبار . جـ ١ . المقدمة ص ع .

العربى ، وهى القاعدة التى نماها قدامة بن جعفر من بعده ،

ولم يمل ابن قتيبة الى محاولة وضع قواعد ثابتة للنقد العربى الا بتأثير من تلك الثقافات الأجنبية التى عرفت فى عصره ، وامتزجت عنده بالتراث العربى .

وقد تجلت عناصر تلك الثقافات بوضوح فى كتابه " عيون الاخبار " الذى نقل فيه كثيرا من أخبار الفرس ، واليونان ، والهند وغيرهم من الأمم ، كما اطلع على الكتب السماوية واستشهد فى كثير من آرائه ببعض ما جاء فى التوراة والانجيل

وبذلك تناولت ثقافة ابن قتيبة جميع معارف عصره ، مما كان له أثره الكبير فى طريقة التأليف عنده . فقد كان على درجة كبيرة من التنظيم والترتيب والتبويب وحسن الاختيار ، فاختط بذلك لنفسه منهجا فى تأليفه مغايرا لمناهج معاصريه ، كالجاحظ فى " الحيوان " و " البيان والتبيين " والمبرد فى " الكامل " فلم يصدر اى منهما عن منهج منظم فى كتبه .

غير أن ابن قتيبه يعتمد اكثر مما يفعل الجاحظ على المادة الادبية المجموعة من مصادر كثيرة ومتنوعة ، وهو كثيرا ما يشير الى تلك المصادر كما فعل فى كتابه " عيون الاخبار " .

حيث قال : " واعلم انا لم نزل نتلقط هذه الاحاديث فى الحداثة والاكتهال عمن هو فوقنا فى السن والمعرفة ، وعن جلسائنا واخواننا ، ومن كتب الأعاجم وسيرهم ، وبلاغات الكتاب فى فصول من كتبهم ، وعمن هو دوننا . "(١)

---

(١) ابن قتيبه . عيون الأخبار . جـ ١ . المقدمة . ص س .

غير أن هذا الاعتماد على المادة المجموعة من مصادر سابقة وان جعل ابن قتيبة في مرتبة فكرية أدنى من مرتبة الجاحظ ، فانه جعل مؤلفات ابن قتيبة صورة صادقة لثقافة العصر الذى كتبت فيه على تنوع هذه الثقافة وتعدد جوانبها مما يجعل لهذه المؤلفات قيمة خاصة . وهذا مالم يدركه المعاصرون فحسب بل فطن اليه جلة من العلماء في القديم .

x x x x x x

وقد حفظ التاريخ لأبى محمد عبد الله بن مسلم اكثر من خمسين مؤلفـــا تناولت الوانا من فنون المعرفة التى عرفها القرن الثالث الهجرى ، فمن تلـــك المؤلفات ما وصلنا ومنها ما عدت عليه عوادى الأيام فلم نعرفه الا بالاســـم فقط وقد ذكر اكثر من ترجم لابن قتيبة الكتب التاليـة :

١ــ كتاب ادب الكاتب : " مطبوع "

٢ــ كتاب المعارف : "

٣ــ كتاب عيون الاخبار : "

٤ــ كتاب المعانى الكبير : "

٥ــ كتاب الشعر والشعراء : "

٦ــ كتاب غريب القرآن : "

٧ــ كتاب تاويل مشكل القرآن : "

٨ــ كتاب تاويل مختلف الحديث : "

٩ــ كتاب الاشربـة : "

١٠ــ كتاب الانـوار : "

١١ــ كتاب الميسر والقداح : "

١٢ــ كتاب المسائل والاجوبة " مطبوع "

١٣ــ كتاب الرد على المشبهة : ذكره ابن النديم ، والسيوطـــى والقفطى ، ويبدو انه الكتـــاب الذى طبع بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٤٩ هـ بتحقيق المرحوم الشيخ محمد زاهد الكوثـــرى باسم كتاب " الاختلاف فى اللفظ والمعنى والرد على الجهميـــة والمشبهـة " .

١٤ــ كتاب فضل العرب على العجم : ذكره ابن قتيبه فى كتابه عيـــون الاخبار جـ ٢ ص ١٨٥ وذكره فـى الشعر والشعراء جـ ١ ، ص ٦٤ ونقل عنه ابن عبد ربـه فى العقد الفريد جـ ٣ ، ص ٤٠٨ ــ ص ٤١٠ ونشرت منه قطعة فى رسائل البلغاء من ص ٢٦٩ الى ص ٢٩٥ .

١٥ــ كتاب غريب الحديث : ذكـــره ابن قتيبة فى كتابه " تاويل مختلف الحديث " ص ١٢ ، ص ١٧٠ ، ص ٢١٢ وذكـره

ابن النديم ، والخطيب ، والسيوطي ، وابن خلكان ، وابن كثير ، وابن الانباري ، والقفطي وابن العماد ، ومنه نسخة في الخزانة الظاهرية بدمشق، تشكل الثلث الاول والثلث الاخير من هذا الكتاب تحت رقم " ٣٤ ، ٣٥ لغة " .

١٦ـ كتاب الجراثيم : ومنه نسخة في الخزانة الظاهرية بدمشق تحت رقم " ٥٩ لغة "

١٧ـ كتاب الألفاظ المغربة بالالقاب المعربة : ومنه نسخة خطية بمكتبة جامع القرويين رقم " ١٢٦٢ لغة " .

١٨ـ معاني القرآن : ذكره السيوطي في بغية الوعاة.

١٩ـ كتاب القراءات : ذكره ابن النديم في الفهرست.

٢٠ـ اعراب القراءات : هكذا سماه ابن خلكان في وفيات الاعيان والقفطي في انباه الرواه ، ويذكره ابن النديم في الفهرست والسيوطي في البغية باسم " اعراب القرآن " ولا نعلم ما اذا كان هذا الكتاب والكتاب السابق له كتابا واحدا ام كتابين منفصلين.

٢١ـ الرد على القائل بخلق القرآن : ذكره السيوطي في البغية.

٢٢ـ آداب القراءة : ذكره صاحب كشف الظنون .

٢٣ـ مشكل الحديث : ذكره الخطيب وابن الانباري وابن خلكان والقفطي وابن العماد وذكر ابن النديم كتاب " المشكل " لابن قتيبة ولا ندري هل قصد به كتاب

" مشكل القرآن " الذى تقدم ذكره ام قصد به " مشكل الحديث " هذا .

٢٤ــ اصلاح غلط ابى عبيد : هكذا ذكره السيوطى فى البغية ، وذكرة ابن النديم باسم " اصلاح غلط ابى عبيد فى غريب الحديث " وذكره القفطى وابن خلكان وابن العماد باسم " اصلاح الغلط " .

٢٥ــ دلائل النبوة : هكذا ذكره ابن النديم والسيوطى وحاجى خليفة . وذكره ابن الانبارى باسم " دلائل النبوة من الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم السلام " .

٢٦ــ جامع الفقه : ذكره ابن النديم بهذا الاسم وسماه القفطى " كتاب الفقه "

٢٧ــ كتاب التفقيه : ذكره ابن النديم وابن خلكان والقفطى وحاجى خليفة .

٢٨ــ كتاب عيون الشعر : ذكره ابن النديم وقال : " انه يحتوى على عشرة كتب منها : "" كتاب المراتب ، كتاب القلائد ، كتاب المحاسن ، كتاب المشاهد ، كتاب الشواهد ، كتاب الجواهر ، كتاب المراكب . "[1]

٢٩ــ كتاب المراتب والمناقب من عيون الشعر : ذكره ابن النديم بعد ذكر كتاب " عيون الشعر " ويظهر ان كتاب المراتب جزء من كتاب " عيون الشعر " .

---

(١) ابن النديم . الفهرست : ص ١١٥

٣٠ـ معانى الشعر الكبير : ذكره ابن النديم بهذا الاسم وقال : " انه يحتوى على اثنى عشر كتابا ٠

١ـ كتاب الفرس ـ ستة واربعون بابا

٢ـ كتاب الابل ـ ستة عشر بابـــا

٣ـ كتاب الحرب ـ عشـرة أبـــواب

٤ـ كتاب القـدور ـ عشرون بابـــــا

٥ـ كتاب الديـار ـ عشرة أبـــــواب

٦ـ كتاب الريـــاح ـ احد وثلاثون بابـا

٧ـ كتاب السباع والوحوش ـ سبعة عشر بابـــا

٨ـ كتاب الهـوام ـ اربعة عشر بابـــا

٩ـ كتاب الايمان والدواهى ـ سبعة ابـــــواب

١٠ـ كتاب النساء والغزل ـ بـاب واحـــد

١١ـ كتاب الشيب والكبر ـ ثمانية ابـــواب

١٢ـ كتاب تصحيف العلماء ـ بـاب واحـــد

٣١ـ ديوان الكتاب : ذكره ابن النديم ، والسيوطى ، وحاجى خليفـــة٠

٣٢ـ تقويم اللسان : ذكره حاجى خليفة ، وقد يكون هذا الكتاب هو الذى انتظم فى كتاب ادب الكاتب ٠

٣٣ـ كتاب خلق الانسان : ذكره ابن النديم ، والسيوطى ، وحاجى خليفة

٣٤ـ كتاب الخيل : ذكره ابن النديم وابن خلكان ، والسيوطى والقفطى .

٣٥ـ جامع النحو الكبير : ذكره ابن النديم والسيوطى والقفطى .

٣٦ـ جامع النحو الصغير : ذكره ابن النديم والسيوطى والقفطى .

٣٧ـ التسوية بين العرب والعجم : ذكره ابن النديم والقفطى ويجوز ان يكون هذا الكتاب هو الكتاب الذى تقدم ذكره باسم " فضل العرب على العجم " لما بينهما من تشابه وتقارب فى الاسم .

٣٨ـ كتاب الحكاية والمحكى : ذكره ابن النديم .

٣٩ـ كتاب فرائد الدر : ذكره ابن النديم .

٤٠ـ حكم الأمثال : ذكره ابن النديم

٤١ـ آداب العشرة : ذكره ابن النديم .

٤٢ـ كتاب العلم : ذكره ابن النديم والقفطى وقال ابن النديم : انه فى خمسين ورقة " .

٤٣ـ كتاب القلم : ذكره السيوطى بهذا الاسم ولعل هذا الكتاب هو الكتاب السابق " كتاب العلم " فقد يكون التشابه بينهما من تحريف النساخ .

٤٤ـ تعبير الرؤيا : هكذا ذكره ابن النديم وابو الطيب . وذكره ابن قتيبة فى مقدمة عيون الأخبار باسم " تأويل الرؤيا " .

٤٥ـ الجوابات الحاضرة : ذكره السيوطي وحاجي خليفة.

٤٦ـ كتاب الفرسي في معاني الشعر : ذكره القفطي في انباه الرواه ، ويبدو ان هذا الكتاب اما أن يكون جزءا من كتاب " معاني الشعر الكبير " الذي تقدم الحديث عنه لأن أول جزء من ذلك الكتاب ورد باسم "كتاب الفرسي " واما أن يكون هذا الكتاب هو كتاب " معاني الشعر الكبير" بكل ما انتظم فيه من اجزاء.

٤٧ـ كتاب الوحش : ذكره ابن قتيبة في كتابه الأنواء ص ٤٣ .

٤٨ـ كتاب الصيام : ذكره ابن قتيبة في كتابه الأنواء ص ١٣٠ .

٤٩ـ كتاب الوزراء : ذكره ابن منظور في لسان العرب اذ يقول : " والمسرب تسمى من يحمل جفون السيف خلالا . وفي كتاب الوزراء لابن قتيبة في ترجمة ابي سلمة . حفص بن سليمان الخلال في الاختلاف في نسبه ، فروى عن ابن الأعرابي انه منسوب الى خلل السيوف من ذلك "[1].

٥٠ـ كتاب آلة الكتاب : ذكره البطليوسي في الاقتضاب : ص ٥٩ ، ص ٨٤ ، ص ٨٧ .

٥١ـ كتاب صناعة الكتابة : ذكره السيد احمد صقر في مقدمته لكتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة وذكر انه نقل منه الخزاعي في كتابه " تخريج الدلالات السمعية " ص ٣٥٨ . ولا نعلم ما اذا كان هذا الكتاب والكتاب السابق

---

(١) ابن منظور ـ لسان العرب : (بولاق ١٣٠٢هـ) جـ ١٣ : ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ .

له كتابـا واحدا لما بينهما من تشابه فى الاسم ام كتابين منفصلين .

٥٢ـ استماع الغناء بالالحان ! ذكره صاحب كشف الظنون .

وهناك كتاب نسب خطأ لابن قتيبة وهو كتاب " الامامة والسياسة " ويبحث هذا الكتاب فى تاريخ الخلافة من وفاة النبى صلى الله عليه وسلم الـى عهـد الامين والمأمون . والذى ينفى نسبة هذا الكتاب عن ابن قتيبـة" أمور كثيرة منها :

١ـ أن المصادر التى تحدثت عن كتب ابن قتيبة لم تذكر له هذا الكتـاب مطلقا ولم يذكره ابن قتيبة فى كتبه ايضا .

٢ـ ان مقدمة كتاب " الامامة والسياسة " لا تتجاوز ثلاثة أسطر وهـى تمثل افتتاحية فقط على عكس ما عرف عن ابن قتيبة من اهتمامه بمقدمـات كتبه التى يرسم فيها منهجـه وغرضه من التاليـف .

٣ـ أن من يروى عنهم مؤلف هذا الكتاب لم يكونوا من شيوخ ابن قتيبـة" الذين ورد ذكرهم فى كتبه . فابن قتيبة لم يرو عن ابن ابى مريم وابـن عقـير وغيرهما .

٤ـ يـروى مؤلـف الكتـاب عـن ابـن ابـى ليلـى التجيبـى (١) الذى كان قاضيا بالكوفة " سنة ١٤٨ هـ" وابن قتيبة فى ذلك الوقت لـم يولد بعد .

---

(١) انظر . ابن خلكان . وفيات الاعيان جـ ١ : ص ٥٧٢ . وانظر روايته عن ابـى ليلى فى الامامة والسياسة (مصر ١٩٦٧ م) جـ ٢ : ص ٦٤

٥ــ روى المؤلف اخبارا عن فتح الأندلس مشافهة عن مولاة لعبد الله بن موسى شهدت الفتح على أن فتح الأندلس كان سنة ٩٢ هـ (١) وميلاد ابن قتيبه كان فى سنة ٢١٣ هـ .

٦ــ ذكر مؤلف الامامة والسياسة " أن هارون الرشيد قد عهد بولاية العهد لابنه عبد الله المأمون أولا ثم لابنه محمد الأمين ثانيا . وهذا خطأ فى حقيقة تاريخية ثابتة لأن العهد كان للأمين أولا ثم للمأمون بعده وهذه الحقيقة التاريخية الثابتة" اشار اليها ابن قتيبة فى كتابه " المعارف "(٢) .

لذلك يبدو أن اجتماع مثل هذه الأمور تكفى لنفى نسبة كتاب " الامامة والسياسة " عن ابن قتيبة .

---

(١) انظر . الامامة والسياسة . جـ ٢ . ص ٦٥ .
(٢) انظر . ابن قتيبه . المعارف . ص ٣٨١ .

الفصل الثاني

النقد في مؤلفات ابن قتيبة

سبق أن أوردنا في الفصل السابق قائمة بمؤلفات ابن قتيبة التي تناولت ألوانا شتى من العلوم والمعارف ، والتي حرص فيها على أن يجعل اللغة والشعر والاخبار في متناول الناشئة من الكتاب . وهذا ما أشار اليه كثيرا في مقدمات كتبه ، حتى ليبدو أن هذه الفكرة استأثرت الى حد بعيد بجهود ابن قتيبة .

وقد قدم في مجموعة كتبه الادبية ما يشهد بعلو مكانته في اللغة وسعة اطلاعه ومعرفته بأشعار العرب وأساليبهم ، والوقوف على اخبارهم . فقد جمع فيها مادة ادبية قيمة من الشعر العربي ، تناولت موضوعات كثيرة تتصل بحياة العرب وعاداتهم وتقاليدهم ، وأحوالهم الاجتماعية .

وهو في جمعه لتلك المادة الغزيرة المتنوعة من الشعر يعمد الى تنسيقها ، وترتيبها ، تبعا للأخبار التي يوردها ، لتكون مشاكلة لها ، ثم يتناولها بالشرح والتعليق ، ويستخلص ما تؤدي اليه معانيها من صور تمثل حياة المجتمع العربي ، مع توخيه الايجاز في كل ذلك ، ليصل المتأدبون وطلاب المعرفة الى بغيتهم في يسر وسهولة .

ونجد في كتب ابن قتيبة الادبية صورة — واضحة لتذوقه للشعر ، فهو

يتذوقه ويحسن اختياره له ، والامثلة على ذلك كثيرة . ولعل أوضح مثال على ذلك ما أورده فى كتاب " عيون الاخبار " ، حيث جمع فيه اشعارا كثيرة رتبها تبعا لمادة الكتاب ، فقرن الباب بشكله من تلك الأشعار التى دلت على حسن اختياره لها ، فكان من بديع اختياراته ابيات محمد بن ابى حمزة مولى الأنصار التى قال عنها انها أغرب ما قيل فى مصلوب ، وهى قوله :[1]

لعمرى لئن اصبحت فوق مشذب * طويل تعفيك الرياح مع القطر

لقد عشت مبسوط اليدين مرزأ * وعوفيت عند الموت من ضغطة القبر

وأفلت من ضيق التراب وغمه * ولم تفقد الدنيا فهل لك من شكر

وقد استحسن بعض الأشعار ورأى انها تمثل الجودة فى الشعر ، وأفرد لها فصلا مصغرا فى الجزء الثانى من كتاب عيون الاخبار تحت عنوان " الأبيات التى لا مثل لها "[2] ، كما أفرد فى الجزء الرابع من الكتاب نفسه أبياتا حسنة فى الغزل تحت عنوان " أبيات فى الغزل حسان "[3] .

وقد دلت تلك الاختيارات على مدى تذوقه للشعر ، وحسن اختياره له ويطول بنا الحديث لو استقصينا تلك الاختيارات الكثيرة المتنوعة ، وهى مبثوثة فى كتبه الأدبية .

---

(١) ابن قتيبة . عيون الاخبار ـ ج ٢ . ص ١٩٦ .
(٢) انظر ابن قتيبة . عيون الاخبار . جـ ٢ . ص ١٩١ ـ ١٩٧ .
(٣) انظر المصدر السابق . جـ ٤ . ص ١٣٨ ـ ١٤٧ .

ويجدر بنا ونحن نتحدث عن نقد الشعر فى مؤلفات ابن قتيبة أن نتحدث عن كتبه التى تناولت الجانب الأدبى بصفة عامة ، وأن نقدمها فى شىء من التعريف بها ، حتى نحدد أيها الصق بنقد الشعر الذى هو موضوع هذه الدراسة . وهذه المؤلفات الأدبية هى :—

١— كتاب ادب الكاتب .

وهو من الكتب التى اشتملت على معارف كثيرة . تناول فيه ابن قتيبة كل ما يمكن أن يعين ناشئة الكتاب فى عصره ، ويدخل فى اعدادهم كدراسة اللغة والفاظها وتراكيبها ، والتدرب على الكتابة السليمة والالمام بكثير من العلوم والمعارف ، واعتبر ذلك كله من الالات الضرورية التى لابد للكاتب أن يتزود بها . وقد قسم الكتاب اربعة اقسام :

١— كتاب المعرفة .

٢— كتاب تقويم اليد .

٣— كتاب تقويم اللسان .

٤— كتاب الأبنية .

وقد صدر المؤلف الكتاب بمقدمة طويلة بين فيها حال الكتاب والأدباء والشعراء فى عصره ، وعزوفهم عن دراسة الكتاب والسنة ، وعلوم العرب ولغاتها وآدابها ، وانصرافهم الى الفلسفة وعلم المنطق ، ورأى ان انصراف الناشئة

الى ذلك يمدهم عن منابع أدبهم ، مما يكشف عن الروح المحافظ عند ابن قتيبة.

وقد تناولت تلك الكتب الأربعة التى انتظمها كتاب " ادب الكاتب" مباحث شتى فى استعمالات اللغة ، وفى النحو والصرف ،وفى قواعد رسم الكلمات الى جانب توجيهه الناشئة الى تعلم العلوم الكونية ، كالفلك وغيره ، وهو فى هذا الكتاب يحاول كعادته فى بعض كتبه أن يجمع ما اقتبسه من علوم عصره.

وقد رأى أن اكتساب الناشىء اكبر قدر من المعارف الواسعة ضرورة لابد من التزود بها قبل أن يتصدى للكتابة ، لأن الشمول فى المعرفة هو السمة المميزة لثقافة الكتاب فى ذلك العصر ، لانه من شأنه أن يمين الكاتب على مواجهة كل ما يمكن أن يعرض له من مشاكل ادارية .

وقد حظى هذا الكتاب بعناية كثير من العلماء . فقد شرحه ابو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن السيد البطليوسى المتوفى سنة ٤٢١ .وشرحه ابو منصور موهوب بن احمد الجواليقى المتوفى سنة ٥٣٩ . وغيرهما .

وقد شرح بعضهم مقدمة الكتاب خاصة . كابى القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجى المتوفى سنة ٣٥٠ هـ ومبارك بن فاخر النحوى المتوفى سنة ٣٣٨ هـ . كما شرح ابيات الكتاب فقط . محمد بن محمد الخازرنجى المتوفى سنة ٣٤٨ هـ .

٢ـ كتاب المعارف :

يعد هذا الكتاب من كتب التاريخ العام جمع فيه ابن قتيبة الوانا

مختلفة من المعرفة . فيه مبتدأ الخلق ، وقصص الأنبياء ، وانساب العرب ، واخبار الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصحابته والتابعين ، والخلفاء ، وحملة الحديث ، واصحاب الرأى ، والقراء ، والنسابين ، واصحاب الأخبار ، ورواة الشعر والغريب والنحو والأوائل ، وذكر المساجد المشهورة ، وحدود جزيرة العرب واخبار الفتوح ، وأديان العرب فى الجاهلية ، وصناعات الأشراف ، وذكر اهل الماهات ، ونوادر الحوادث ، واخبار ملوك العرب والعجم ويتخلل ذلك كله مادة أدبية أوردها المؤلف على سبيل الاستشهاد .

وقد اشار ابن قتيبة الى منهجه فى جمع مادة الكتاب وذلك فى مقدمته حيث قال : " وكان غرضى فى جميع ما اقتصصت ، الايجاز والتخفيف والقصد للمشهور من الأنباء دون المغمور ، ولما يجرى له سبب على السنة الناس دون مالا يجرى له سبب "(1).

ويبدو أن الذى دفع بابن قتيبة الى جمع تلك المعارف هو ما رآه من ضرورة تعلمها والوقوف عليها لكل كاتب ومتأدب . وقد أحسن المؤلف فى اختيار مادة الكتاب وتنظيمها تنظيما دقيقا اعتمد فيه الترتيب والتبويب المناسب بحيث يسهل على القارئ الحصول على بغيته دون أن يكلف نفسه العناء والتعب بالبحث فى ثنايا الكتاب. كما امتاز الكتاب بمادته الغزيرة بالاضافة الى الايجاز المناسب الذى يغرى

---

(1) ابن قتيبة . المعارف : المقدمة : ص ٦

القارئ بمواصلة القراءة دون ملل أو سأم بسبب خلل أو نقص في مادة الكتاب .

وبذلك جمع بين يدي القارئ ما يحتاجه من ألوان المعرفة ، ليوفر للقسم حصيلة علمية وتاريخية وأدبية ، ولهذا أعطى الكتاب صورة صادقة لثقافة العصر وكان مرجعا هاما في كثير من فنون المعرفة .

٣ـ كتاب عيون الأخبار :

وهو من أشهر كتب ابن قتيبة الأدبية . وقد قسمه الى عشرة كتب :

١ـ كتاب السلطان .

٢ـ كتاب الحرب .

٣ـ كتاب السؤدد .

٤ـ كتاب الطبائع والأخلاق المذمومة .

٥ـ كتاب العلم والبيان .

٦ـ كتاب الزهد .

٧ـ كتاب الاخوان .

٨ـ كتاب الحوائج .

٩ـ كتاب الطعام .

١٠ـ كتاب النساء .

وعلى الرغم من أن المؤلف يعتمد فى هذا الكتاب اعتمادا كاملا على النقل عن غيره فان الكتاب غزير فى مادته ، لمتزجت فيه الثقافات العربية والأجنبية وبذل فيه ابن قتيبة جهدا كبيرا دل على سعة اطلاعه فى مختلف الفنون والعلوم ، وقد أشار فى مقدمة الكتاب وفى صلبه احيانا الى مصادره التى استقى منها تلك المادة القيمة التى تضمنت الأخبار الطريفة ، والشعر الرائع ، والنثر البليغ ، قال فى المقدمة : " واعلم أنا لم نزل نتلقط هذه الاحاديث فى الحداثة والاكتهال عمن هو فوقنا فى السن والمعرفة ، وعن جلسائنا واخواننا ، ومن كتب الأعاجم وسيرهم ، وبلاغات الكتاب فى فصول من كتبهم ، وعمن هو دوننا غير مستنكفين أن نأخذ عن الحديث سنا لحداثته ، ولا عن الصغير قدرا لخساسته ، ولا عن الأمة الوكعاء لجهلها فضلا عن غيرها ، فان العلم ضالة المؤمن من حيث أخذه نفعه ولن يزرى بالحق أن تسمعه من المشركين ، ولا بالنصيحة أن تستنبط من الكاشحين "[1].

وهو يشير الى تنوع مادة الكتاب وتعدد مستوياتها بقوله : " ولم أر صوابا أن يكون كتابى هذا وقفا على طالب الدنيا دون طالب الآخرة ، ولا على خواص الناس دون عوامهم ، ولا على ملوكهم دون سوقتهم فوفيت كل فريق منهم قسمه

---

(١) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، جـ ١ ، المقدمة ، ص س

ووفرت عليه سهمه » ... فاذا مر بك أيها المتزمت حديث تستخفه أو تستحسنه ، أو تعجب منه ، أو تضحك له ، فاعرف المذهب فيه وما أردنا به . واعلم أنك ان كنت مستغنيا عنه بتنسكك فان غيرك ممن يترخص فيما تشددت فيه محتاج اليه ، وان الكتاب لم يعمل لك دون غيرك فيسهيا على ظاهر محبتك . "(١)

والكتاب يعكس المفهوم السائد آنذاك لكلمة أدب التى كانت تضم جانبا خلقيا يقوم على تهذيب النفس ، وغرس الفضائل فيها عن طريق تقديم الأنماط الحسنة من آداب السلوك ، كما كانت تضم جانبا ادبيا فنيا وهو تقديم النماذج الأدبية الرائعة قصدا للامتاع من ناحية ولتقديم المادة الضرورية لتدريب الناشئة فى مجال الأدب من ناحية ثانية . وقد قدم كل ذلك فى صورة ميسرة اتسمت بالترتيب والتنظيم ، وقلة الاستطراد ، لتكون قريبة التناول ، سهلة التعلم والحفظ . وقد أشار المؤلف الى منهجه هذا الذى اعتمد الترتيب والتنظيم فقال : " ... وقد قرنت الباب بشكله والخبر بمثله ، والكلمة بأختها ، ليسهل على المتعلم علمها وعلى الدارس حفظها . "(٢)

ولذلك يعتبر الكتاب خطوة موفقة فى التاليف العلمى المنظم فى ذلك العصر

---

(١) ابن قتيبة . عيون الاخبار ج ١ . المقدمة . ص ى .
(٢) انظر . ابن قتيبة . عيون الاخبار . ج ١ . المقدمة . ص ى .

حيث هذبه مؤلفه من الاضطراب ، وتداخل المعلومات ، أو عدم تجانسها ، فتميز من حيث منهج التأليف عن الكتب التي تناولت الوانا من المعرفة في ذلك العصر " كالبيان والتبين " للجاحظ ، و " الكامل " للمبرد .

وقد حشد ابن قتيبة في هذا الكتاب كثيرا من الأشعار المشاكلة لتلك الأخبار التي انتظمها الكتاب في جميع اجزائه .

ولما كان غرض ابن قتيبة أن يجمع في كتاب عيون الأخبار من كل فن من فنون المعرفة فقد دعاه ذلك الى ان يأتي بنتفة موجزة عن الشعر ، وذلك في كتاب العلم والبيان من هذا الكتاب ، تحدث فيها عن اهمية الشعر بين فنون الكلام حيث قال في وصف الشعر : " الشعر معدن علم العرب ، وسفر حكمتها وديوان اخبارها ، ومستودع أيامها ، والسور المضروب على مآثرها ، والخندق المحجوز على مفاخرها ، والشاهد العدل يوم النفار ، والحجة القاطعة عند الخصام ، ومن لم يقم عندهم على شرفه ، وما يدعيه لسلفه من المناقب الكريمة والفعال الحميدة بيت منه ، شذت مساعيه وان كانت مشهورة ، ودرست على مرور الايام وان كانت جساما ، ومن قيدها بقوا في الشعر ، وأوثقها بأوزانه ، وأشهرها بالبيت النادر ، والمثل السائر والمعنى اللطيف ، أخلدها على الدهر ، وأخلصها من الجحد ، ورفع عنها كيد العدو وغض عين الحسود . "(١)

---

(١) ابن قتيبة . عيون الاخبار . جـ ٢ . ص ١٨٥ .

ثم تحدث عن اهمية الصنعة في الشعر ، وعن بعض الوجوه التي يختار الشعر عليها ويحفظ ، كالاصابة في التشبيه وحسن الابتداء ، وهي أمور قد أشبعها بحثا في كتاب الشعر والشعراء ، وانما عرض لها في عيون الاخبار ، لأنه قد التزم بأن يجمع في كتابه هذا من كل فن من فنون القول . وقد قال متحدثا عن السبب الذي دفعه أن يورد تلك النبذة الموجزة عن الشعر : " وذكرت هذه النتفة في هذا الكتاب كراهية أن أخليه من فن من الفنون . "(١)

ولقد كان مزج الثقافة العربية في هذا الكتاب بالثقافات الأجنبية المختلفة واضحا وجليا . فابن قتيبة عندما يتناول موضوعا ما ، يورد ما قيل عن ذلك الموضوع من أخبار في أمة من الأمم ، ثم يذكر ما لدى الأمم الأخرى في نفس الموضوع فهو مثلا اذا تحدث عن السؤدد عند العرب أتبعه ذكر السؤدد عند العجم . فقد أورد قول الأحنف بن قيس في السؤدد ، وأقوال غيره من سادات العرب(٢) ، ثم أعقبه بالحديث عن السؤدد نقلا عن كتاب للهند(٣) . وهكذا مما يساعد القارئ بأن يوازن أو يفاضل في يسر وسهولة بين تلك الأخبار والأقوال .

---

(١) ابن قتيبه . عيون الاخبار . جـ ٢ . ص ١٨٥ .
(٢) انظر المصدر السابق . جـ ١ ص ٢٢٩ ـ ٢٣١
(٣) انظر المصدر السابق ـ جـ ١ . ص ٢٣١ .

ولهذا نرى ابن قتيبة في كتابه هذا ينقل عن العرب والعجم والهند ، كما اكثر النقل عن التوراة والانجيل ، وبذلك استطاع أن يجعل من كتابه هذا صورة صادقة لامتزاج الثقافة العربية بالثقافات الأجنبية التي عرفها العصر العباسي .

٤ـ كتاب المعاني الكبير :ـ

ذكره اكثر من ترجموا لابن قتيبة . وقد تم طبعه بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد بالهند سنة ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٩ م . بتصحيح عبد الرحمن بن يحيى اليماني . وقد ظهر الكتاب في ثلاثة مجلدات اشتملت على سبعة اجزاء . وقد أشار مصححه الى ان الكتاب ينقصه بعض الاجزاء التي لم يعثر عليها بعد . فالمعروف عن ابن قتيبة انه قد صدر كتبه التي وصلتنا جميعها بمقدمات يرسم فيها منهجه وغرضه من التاليف . أما كتاب المعاني فقد خرج مبتورا بدون مقدمة . حيث بدأه مباشرة بقوله : " قال ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري . انشدني الرياشي عن الاصمعي عن ابي عمرو بن العلاء لابي دؤاد الايادي هذه الابيات(١) . " ثم اورد بيتين في وصف سرعة الخيل بدون عنوان لها . ثم ان الجزء الرابع من الكتاب ناقص من أوله وقد أشار مصححه الى أن الورقة الاولى من نسخة الأصل قد نزعت . كما ختم الكتاب بابيات في مكارم الاخلاق وكانت تلك النهاية تدل ايضا

---

(١) ابن قتيبة . كتاب المعاني الكبير " طبعة حيدر اباد ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٩ م) " ص ١ .

على وجود نقص فى الكتاب حيث اختتمه بقوله " ثم ابتدأ فقال ... "[1] ولم يذكر المقول .

ويعتبر كتاب المعانى الكبير من أضخم كتب ابن قتيبة وأجلها فائدة ، وقد عالج ابن قتيبة فى هذا الكتاب ناحية واحدة هى شرح غريب الشعر وما خفى من معانيه وهو فى ثنايا هذا الشرح يسوق شواهد شعرية كثيرة وبذلك اشتمل الكتاب على كثير من اشعار المعانى التى جهد المؤلف فى تفسيرها فجمع بذلك مادة غزيرة من الادب ـ واللغة والشعر . وقد انتظمت تلك المادة فى اجزاء مرتبة ومبوبة ضمت الاجزاء التالية :ـ

١ـ كتاب الخيل

٢ـ كتاب السباع .

٣ـ كتاب الطعام والضيافة .

٤ـ كتاب الذباب .

٥ـ كتاب الوعيد والبيان .

٦ـ كتاب الحرب .

٧ـ كتاب الميسر وغيره .

وقد امتازت هذه الاجزاء بالترتيب والتنظيم والتسلسل فى ايراد الموضوع ومعالجة مسائله البارزة . كما اورد المؤلف كثيرا من الاشعار التى قيلت فى هذه الأبواب

---

(١) ابن قتيبة ، كتاب المعانى الكبير " طبعة حيدراباد ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩ م " ص ١٢٧ .

وتناولها بالشرح المستفيض الذى دل على قدرته ومكانته فى علم اللغة ومعرفته بشعر العرب واسرار كلامهم .

٥ـ كتاب الشعر والشعراء :ـ

ويبدو أن ابن قتيبة قسمه قسمين : القسم الأول . ويمثل مقدمة الكتاب التى حشد فيها نظراته النقدية حيث تناول فيها الحديث عن أقسام الشعر وطبقاته وعيوبه ، وعن الوجوه التى يختار الشعر عليها ويستحسن لها الى جانب تناوله بعض القضايا النقدية الهامة .

وقد أشار ابن قتيبة الى ان تلك المقدمة النقدية تمثل الجزء الأول من هذا الكتاب حيث تحدث فى هذا الكتاب كما يقول : " عن اقسام الشعر وطبقاته ، وعن الوجوه التى يختار الشعر عليها ويستحسن لها الى غير ذلك مما قدمته فى هذا الجزء الأول "[1] وبذلك يبدو أن ابن قتيبة قد قصد باللفظ الأول من عنوان الكتاب وهو " الشعر " هذا القسم الأول . أما القسم الثانى . وهو تراجم الشعراء فكأنه قصد به اللفظ الثانى من العنوان وهو (الشعراء) وقد اخبر فى هذا القسم عن الشعراء " وأزمانهم واقدارهم وأحوالهم فى اشعارهم وقبائلهم وأسماء آبائهم . ومن كان يعرف باللقب أو بالكنية

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : جـ ١ : ص ٥٩ .

منهم . وعما يستحسن من اخبار الرجل ويستجاد من شعره ، وما اخذته العلماء عليهم من الغلط والخطأ فى الفاظهم أو معانيهم ، وما سبق اليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون . "[1] وقد ضم الكتاب بين دفتيه مادة نقدية قيمة ، وأخرى ادبية واسعة ، حيث ترجم لعدد كبير من الشعراء ، وأورد الكثير من أشعارهم .

وليس من اليسير الاطمئنان الى أن كتاب الشعر والشعراء قد وصلنا كاملا كما كتبه ابن قتيبة ، وهذا مالاحظه الأستاذ السيد احمد صقر عندما تناول نقد الكتاب فى اظهار بعض الملاحظات حسول تحقيق الأستاذ احمد محمد شاكر[2] ولعل اهم ما يلاحظ على الكتاب انه قد وردت ترجمتان متتاليتان لاكثر من شاعر تختلف كل واحدة منهما عن الأخرى فى الأسلوب وفى طريقة العرض مما يثير شكوكا فى ان الكتاب قد دخله بعض الخلط من ايدى النساخ ، وربما ادى ذلك الخلط الى نقص غير قليل فى الكتاب .[3]

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . جـ ١ . ص ٥٩ .
(٢) انظر المصدر السابق . نقد الأستاذ السيد احمد صقر ص ٧ ـ ٩ .
(٣) انظر فى ذلك ترجمة كل من . امرىء القيس ـ جـ ١ . ص ١٠٥ و ص ١١٤ . وزهير بن ابى سلمى جـ ١ . ص ١٣٧ . وص ١٤١ . والنابغة الذبيانى جـ ١ . ص ١٥٧ . و ص ١٦٣ . والمتلمس . جـ ١ . ص / ١٧٩ . وص ١٨١ وطرفه بن العبد جـ ١ . ص ١٨٥ . وص ١٨٨ . وأوس بن حجر . جـ ١ . ص ٢٠٢ . و ص ٢٠٥ . والمرقش الاكبر جـ ١ . ص ٢١٠ . وص ٢١٢ . ، والمرقش الأصغر جـ ١ . ص ٢١٤ . وص ٢١٦ . وعلقمة الفحل . جـ ١ . ص ٢١٨ . و ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ . وعدى ابن زيد جـ ١ . ص ٢٢٥ ـ وص ٢٢٨ .

وهناك ناحية أخرى جديرة بأن يلتفت اليها ، وهى أن المعروف عن ابن قتيبة أنه حسن الترتيب والتنظيم فى كل كتبه التى وصلتنا . غير أنه فى ترجمته للشعراء فى هذا الكتاب لم يلتزم منهجا معينا . فهو لم يلتزم التاريخ الزمنى فى الحديث عن الشعراء ، ولم يلتزم تقسيم الشعراء الى طبقات أو مدارس ادبية ، فهو يتحدث عن شعراء جاهليين ثم عن شعراء مخضرمين أو اسلاميين ، ويعود ثانية ليترجم لآخرين جاهليين . فقد بدأ الحديث بامرىء القيس حتى اذا ترجم لسلامة بن جندل اتبعه الحديث عن لبيد بن ربيعة ، وزيد الخيل ، والنابغة الجعدى ، ثم عاد فترجم لمهلهل بن ربيعة وهو جاهلى ، ثم عقب على ذلك بالحديث عن العباس بن مرداس . وقد كانت له بعض المحاولات فى أن يترجم لأصحاب الفن الشعرى الواحد على نسق واحد ، الا أن تلك المحاولات لم تكتمل . اذ يتحدث عن شاعرين أو ثلاثة أو اكثر من أصحاب الفن الشعرى الواحد ، ويتبع ذلك الحديث عن شعراء آخرين يختلفون معهم فى الفن ، ثم يعود فيذكر بعض شعراء ذلك الفن السابق الذى أورد بعض شعرائه وهكذا . ومن ذلك أنه تحدث عن ستة من شعراء الرجز وهم . العجاج ، وابنه رؤبة ، وابى نخيلة وابى النجم الراجز ، ودكين الراجز ، والأغلب الراجز ثم اتبع ذلك الحديث عن شعراء كثيرين لا يتفقون معهم فى هذا الفن ، وبعد أن سرد

سير اكثر من ثلاثين شاعرا عاد الى فن الرجز ليتحدث عن عمر بن لجأ الراجز .

وواضح أن ابن قتيبة بهذا التقديم والتأخير لم يلتزم منهجا واضحا فى ترجمته للشعراء وهذا مالا يتلاءم مع ما عرف عنه من دقة — الترتيب والتنظيم فى كل مؤلفاته .

ولذلك فقد يكون ذلك التقديم والتأخير من عمل النساخ الذين شوهوا ترتيب الكتاب فأوردوا مثلا ترجمتين متتاليتين لبعض الشعراء الذين ورد ذكرهم فى كتاب الشعر والشعراء .

ويبدو من استعراضنا للنقد فى مؤلفات ابن قتيبه الأدبية ، أن كتاب " الشعر والشعراء " هو الكتاب الذى يمثل الجانب النقدى عنده .

فقد حشد فى مقدمة هذا الكتاب نظراته النقدية التى تناول فيها الحديث عن أقسام الشعر ، وطبقاته ، وعيوبه ، وعن الوجوه التى يختار الشعر عليها ويستحسن لها ، ثم عالج بعض القضايا النقدية الهامة ، كقضية المتكلف والمطبوع ، وقضية القديم والحديث ، وأضاف اليها بعض النظرات النقدية التى انفرد بها ، كما اهتم بالشاعر وأولاه عناية كبيرة .

ومن هنا فان دراسة ما تضمنه هذا الكتاب من نظرات نقدية تعتبر دراسة شاملة لموقفه النقدى كله ، لأن ما ورد من هذه النظرات فى غيره من مؤلفات ابن قتيبة هو على قلته قد ضمنه فى الشعر والشعراء لأنه ورد فى هذه المؤلفات غير مقصود لذاته . ولهذا فسوف نقصر الفصول التالية على كتاب الشعر والشعراء ...

(البـــاب الثانـــى)

نقـد الشعـــر عند ابـن قتيبـــة

(الفصـــــل الأول)

لغـــة الشعـــر

كان العرب يتكلمون لغتهم بالطبع دون تعلم أو دراسة • وكانت لغة البعيدين منهم عن بلاد الاعاجم أفصح مما عداها ، كما هو الحال بالنسبة للغة قريش ومن جاورهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وغيرهم ، فلما جاء الاسلام وا ختلط العرب بالاعاجم بدأت تفسد تلك الملكة ، فدعت الحاجة الى وضع قواعد للغة العربية لحفظها من اللحن ، فوضع علم النحو ، وجمعت الفاظ اللغة العربية صيانة لها من الضياع ، وميز بين اساليب العرب الفصحاء ، والمولدين والدخلاء •

على أن اللغة العربية التى أثرت عن العصر الجاهلى لم تعد سهلة الالفاظ بالنسبة للعرب بعد الاسلام، فقد ألانت الحضارة والاختلاط بالأجانب اللغة العربية ،وجنحت بها الى السهولة واليسر ، حتى اصبحت لغة البداوة بميلها المعهود الى الخشونة غريبة الالفاظ لا تفهم الا بالدراسة وطول النظر •

ولما كانت اللغة هى مادة الأدب الأولى فقد كانت موضع اهتمام كبير من النقاد العرب ، اذ أخذوا يقومون العمل الادبى على أساسها

فعرفوا طرق الشعراء ومذاهبهم فى الشعر ، ورأوا أن منهم من كان يحترز من بعض الضرورات والعيوب التى تقلل من قيمة الشعر الفنية ، كزهير بن ابى سلمى الذى " كان لا يعاظل بين القول ، ولا يتبع حوشى الكلام ، ولا يمدح الرجل الا بما هو فيه . "(١)

فكلام الناس لم يكن فى طبقة واحدة ، وانما كان منه الجزل الرصين ، ومنه الحسن المستعذب ، ومنه الحوشى الغث . وكأن النقاد أرادوا من الشعر أن يحرص على لغة أسمى وأفصح من لغة النثر ، لا ابتذال فيها ولا غرابة ، ولذلك استهجنوا الاسلوب الحوشى " الا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا فان الوحشى من الكلام يفهمه الوحشى من الناس كما يفهم السوقى رطانة السوقى "(٢) فجعلوا للشعراء الفاظا معروفة تتناسب مع ظروفهم التى تحيط بهم وموضوعاتهم التى يتناولونها بالتعبير . وأمثلة مألوفة يجرون فى مدارها ولا يخرجون عنها الا نادرا .

وقد الح ابن قتيبة الى أهمية تلك اللغة ، فكانت لغته طيبة منه

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . جـ ١ . ص ١٣٨
(٢) الجاحظ . البيان والتبيين . جـ ١ . ص ١٧٠ ـ ١٧١

وفكرة جديدة فى ميدان النقد ، حيث اهتم بتلك القضية وأوصى الشاعر المحدث الا يقلد لغة المتقدمين الذين مالوا الى استعمال التراكيب الحوشية النادرة التى تمثلها وحشة الهداوة وغلظة الأعراب ولا يستعمل ايضا اللغة القليلة التى لم تنتشر بين العرب :

ويبدو من ذلك أنه كان شديد الحرص على فصاحة لغة الشعر حيث يقول :

" وليس للمحدث أن يتبع المتقدم فى استعمال وحشى الكلام الذى لم يكثر ، ككثير من أبنية سيبويه ، واستعمال اللغة القليلة فى العرب ، كابدالهم الجيم من الياء كقول القائل :

(١)

" يا رب ان كنت قبلت حجتى " يريد حجتى " .

وقد ضرب ابن قتيبة أمثلة كثيرة على ذلك ، وعلى الشاعر أن يتجنب ذلك الوحشى الفث ، والاستعمال القليل ، حتى وان طرقه بعض كبار الشعراء القدامى ، لأن لكل جيل لغته ومصطلحاته ، واشتقاقاته اللغوية ، فهناك كثير من الالفاظ والتراكيب يصيبها الركود قد تستعمل فى زمن دون آخر ، وعلى الشاعر أن يحتاط لذلك كله ، فلا يختار الا ما سهل من الألفاظ والتراكيب وكان بعيدا عن التعقيد والاستكراه .

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . جـ ١ ص ١٠١ .

وهذا القدر من الاهتمام بقضية لغة الشعر عمل جليل من ابن قتيبة يدل على أنه أراد من ذلك فصاحة لغة الشعر ، والرقي بها وتخليصها من بعض ما يعوق مهمتها .

الفصل الثاني

عيوب الشعر

لم يكن الشعر في درجة واحدة من القوة والحسن ، فمنه ما هو حلو مستعذب ، ومنه ما هو عث مستكره ، ولهذا أولع النقاد العرب بجمال التعبير ، واصابة المعنى ، وميزوا جيد الكلام من رديئه ، وحاولوا أن يدفعوا الشعراء الى أن يرتقوا بلغة الشعر ويهذبوها ، وينقحوها فانتقصوا ماغث ورذل منه ، وجبذوا ما حسن وفخم ، وجهدوا في ابراز عيوب الشعر المتصلة بالصياغة أو الاعراب وأدركوا حاجة الشاعر الى الالمام بالاوزان الشعرية ، ليكون شعره سليم الوزن ، وعرفوا ان الشعراء قديما وحديثا لا يخلو شعرهم من بعض تلك العيوب المتصلة به ، فحاولوا جاهدين تخليصه منها .

وقد شارك ابن قتيبة النقاد في تخليص الشعر مما قد يعلق به من تلك العيوب التي تقلل من قيمته الفنية ، فحاول أن يبرز العيوب المتصلة بالصياغة من حيث سلامة الوزن ، واعتدال القوافي وصحتها ، غير ان النقاد قبله اشبعوها بحثا ، لانها كانت تمثل جزءا من الدراسات العروضية التي تناولها النقد في القرنين الاول والثاني .

وابن قتيبة في محاولته تلك لم يأت بشيء جديد فيما يتصل بعيوب القافية وانما عمد الى نقل آراء العلماء في الاقواء ، والسناد ، والايطاء ، والاجازة .

فالاقواء : هو اختلاف اعراب القوافي (١) ، كأن تكون قافية مرفوعة وأخرى مخفوضة أو منصوبة ، وكان النابغة الذبياني وبشر بن ابي خازم ممن وقع ذلك في شعرهم (٢) قال النابغة :

قالت بنو عامر خالوا بني أسد * يابؤس للجهل ضرارا لأقوام

وقال فيها :

تبدو كواكبه والشمس طالعة * لا النور نور ولا الاظلام اظلام

وقد كان " الاقواء " و " الاكفاء " موضع خلاف بين النقاد العرب ، فبعضهم يرى أن " الاكفاء " هو اختلاف في اعراب القوافي وأن " الاقواء " نقصان حرف من فاصلة البيت ، كقول حجل بن نضلة :

حنت نوار ولات هنا حنت * وبدا الذي كانت نوار أجنت

لما رأت ماء السلا مشروبا * والفرث يصفر في الاناء أرنت

" سمي اقواء لانه نقص من عروضه قوة ، وكان يستوى البيت بأن يقول " متشربا " (٣) الا أن اكثر النقاد يرون أن الاقواء هو الاكفاء بعينه ، يقول ابن سلام " الاكفاء هو الاقواء مهموز وهو أن يختلف اعراب القوافي " (٤) وقد أغتفر للاعراب لأنهم لم يأبهوا به ولم يغتفر للمحدثين لانهم عرفوا عيبه (٥) .

---

(١) انظر ابن قتيبة . الشعر والشعراء . جـ ١ . ص ٩٥ .
(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . جـ ١ : ص ٩٥
(٣) المصدر السابق . جـ ١ : ٩٦
(٤) المرزباني : الموشح : ص ٢١
(٥) انظر المصدر السابق : ص ٢١

والسناد :ـ عرفه ابن قتيبة فقال : " هو أن يختلف ارداف القوافي "(١) ولم يوضح الاختلاف ، أهو في الارداف نفسها أم في حركتها ، الا أننا نلمس من تطبيقه انه يريد بالسناد : اختلاف حركة الردف كما يبدو من تمثيله بأبيات عمرو بن كلثوم .

" الا هبي بصحنك فاصبحينا ٠ / فقد أتى الردف مكسورا وهو حرف الحاء
تصفقها الرياح اذا جرينا ٠ / فالراء مفتوحة وهي بمنزلة الحاء ٠ "(٢)

فالردف يقع قبل حرف الروى مباشرة وليس بينهما شيء ٠(٣) وعلى هذا اعتبر " الياء " حرف روى للبيتين ، وهذا خطأ منه ٠ اذ أن حرف الروى هو حرف " النون " وليس حرف " الياء " الذى هو الردف بعينه ، ومن هنا يتضح أنه أراد ـ بالسناد : اختلاف حركة الردف لكنه لم يهتد الى معرفة الردف في البيتين اللذين أوردهما ٠

أما الايطاء :ـ فهو " اعادة القافيه مرتين "(٤) بدلالة معنوية واحدة ، وهو عند ابن قتيبه أقل عيبا من الاقواء والسناد والاجازة ٠ وهو كقول أبي ذؤيب في بنيه(٥) :

سبقوا هوى وأعنقوا لهواهم * فتخرموا ولكل جنب مصرع

ثم قال في صفة الثور والكلاب :

فصرعنه تحت المجاج فجنبه * متشرب ولكل جنب مصرع

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء :ج ١ ص ٩٦ ٠ عرف ابن رشيق " السناد " : بأن المشهور فيه الحذو وهو " اختلاف حركة ما قبل الردف " " انظر العمده " مصر ١٣٨٣ هـ/١٩٦٣ م ج١ ص ١٦٧ " وقال المرزباني : السناد : اختلاف كل حركة قبل الروى : " الموشح : ص ١٤ " (٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ج١ ص ٩٦
(٣) انظر الفيروز أبادى : القاموس المحيط : " طبعة الحلبي بمصر ١٣٧١هـ/١٩٥٢م ج ٣ : ص ١٤٨ ٠
(٤) ابن قتيبة ٠ الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٩٧
(٥) ابن رشيق ٠ العمده : ج ١ : ص ١٧٠ ٠

وأخيرا اورد ابن قتيبة بعض آراء العلماء في الاجازة ،حيث رأى بعضهم " أن تكون القوافي مقيدة فتختلف الارداف "(١). وقصدوا باختلاف حركتها كقول امرئ القيس :

" لا يدعى القوم أني أفر ٠ / فكسر الردف ،وقال في بيت آخر :

وكندة حولي جميعا صبر ٠ / فضم الردف ،وقال في بيت آخر :

ألحقت شرا بشر ٠ / ففتح الردف ٠ "(٢)

الا أن الخليل بن أحمد يقول في الاجازة : " أن تكون قافية ميما والاخرى نونا ٠٠ أوطاء والاخرى دالا "(٣). وذلك راجع الى تقارب الحروف في مخارجها كقول الشاعر(٤) :

تالله لولا شيخنا عباد * لكمرونا عندها أو كادوا ٠

فرشط لما كره الفرشاط * بفيشة كأنها ملطاط ٠

هذا كل ما جاء به ابن قتيبة في عيوب القافية ، نقل بعض آراء النقاد الذين سبقوه بأمانة علمية ، دون أن تكون له شخصية بارزة في معالجة تلك العيوب ٠

---

(١) ابن قتيبة ٠ الشعر والشعراء : جـ ١ : ص ٩٧
(٢) المصدر السابق : جـ ١ : ص ٩٧
(٣) المصدر السابق : جـ ١ : ص ٩٧
(٤) ابن قتيبة ٠ الشعر والشعراء جـ١ : ص ٩٧ ٠

غير أن ابن قتيبة لم يقف عند هذا الحد بل حاول أن يبرز بعض العيوب المتصلة بالاعراب ، والضرورات التي يلجأ اليها الشاعر كتسكين متحرك ، أو تحريك ساكن أو قصر ممدود ، أو العكس وصرف مالا ينصرف ، وترك الهمز مع المهموز . فقد يضطر الشاعر فيسكن ما كان ينبغي له أن يحركه . "(١) كقول امرئ القيس :(٢)

فاليوم أشرب غير مستحقب * اثما من الله ولا واغل

سكن آخر الفعل " أشرب " للتخفيف .

وقد عاب على الشاعر اللجوء الى الضرورات في حالة استطاعته اقامة الوزن ، اذ لا يعد ذلك ضرورة يلجأ اليها الشاعر كقول الهذلي :(٣)

يبيت على معارى فاخرات * بهن ملوب كدم العباط

فلم ير ابن قتيبة في البيت ضرورة يحتاج الشاعر الى أن يترك صرف " معار " اذ لو قال " معار " لكان الشعر موزونا والاعراب صحيحا، ويقول ابن قتيبه أن سيبويه احتج بالبيت في كتابه على أن فيه ضرورة مع خلوه منها . كما عاب ابن قتيبة على الشاعر مد المقصور ، ومنع المصروف ، وهمز غير المهموز ، واغفر له قصر الممدود ، وصرف غير المصروف مع الضرورة ، وترك الهمز مع المهموز وهو كثير.(٤)

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . جـ ١ : ص ٩٨.
(٢) المصدر السابق . جـ ١ ص ٩٨.
(٣) المصدر السابق ـ جـ ١ ص ٩٩ .
(٤) انظر المصدر السابق . جـ ١ : ص ١٠١

على أن ابن قتيبة قد حرص على أن يتوفر للشعر عنصر هام من أهم عناصره وهو عنصر الموسيقى ، حيث حذر الشاعر من أن يسلك الاساليب التى لا تصح فى الوزن ، ولا تخلو فى الاسماع ، اذ الوزن احد اركان الشعر ، لذا يجب أن يستقيم ، وأن يخلو من الاضطراب ،ومن كثرة الزحافات التى تهجن الشعر وتحط من قدره ،وأن يشتمل على جمال النغمة وحسن الايقاع .

هذا ولم يقف حرص ابن قتيبة على الارتقاء بصياغة الشعر عند هذا الحد ، بل تعداه الى ان بين امارات الشعر الغث ، المستكره المتعمل ، وذلك فى معالجته لقضية المتكلف والمطبوع من الشعر ، وأوصى الشاعر المحدث أن يبتعد عن استعمال الألفاظ الوحشية واللغة النادرة فى العرب (١) .

كما قدم فى ثنايا كتابة الشعر والشعراء " عيوبا أخرى لا تتعلق بالعيوب الشكلية فى الشعر كعيوب القافية والاعراب مثلا ،وانما تتصل بثقافة الشاعر ومدى ادراكه لما يحيط به من الامور التى يتناولها فى شعره ، وتحفظه من تلك الأخطاء التى قل من لا يقع فيها من الشعراء ، غير أنه لم يهتد اليها بنفسه وانما سبق اليها من العلماء قبله ، حيث جمعوا ما أخذوه على الشعراء من الغلط والخطأ ،وأشار هو الى ذلك فى مقدمة الكتاب حيث يقول : " هذا كتاب الفته فى الشعراء أخبرت فيه عن الشعراء ... وما أخذته العلماء عليهم

---

(١) انظر فى ذلك الفصل السابق .

من الغلط والخطأ فى الفاظهم أو معانيهم "(١)

ومن ذلك ما أخذوه على الشعراء من استعمالهم اللفظ لغير ما وضع له كقول المتلمس :

وقد أتناسى الهم عند احتضاره * بناج عليه الصيعرية مكدم "(٢)

عابوا عليه استعماله لفظ الصيعرية سمة للفحل وهى انما تكون للناقة

كما عابوا على حميد بن ثور الهلالى قوله :

لما تخايلت الحمول حسبتها * دوما بأيلة ناعما مكمومها "(٣)

حيث جعل الدوم الذى هو شجر المقل يكم — غير أن ذلك لا يكون الا للنخل قال الله تعالى فى صفة الأرض " فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام "(٤)

وقد رأوا أن من المعانى ما هو مستقيم حسن ، ومنها ما خرج عن الصحة فأفسد على الشاعر ما أراد — ولذلك وقع بعض الشعراء فى غلط المعانى كزهير بن ابى سلمى فى قوله يذكر الضفادع :

يخرجن من شربات ماؤها طحل * على الجذوع يخفن الغم والغرقا "(٥)

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، جـ ١ : ص ٥٩

(٢) المصدر السابق : جـ ١ : ص ١٨٣ وانظر ، العسكرى ، الصناعين " مصر ١٣٧١هـ/١٩٥٢م " ص ٨٥

(٣) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء : جـ ١ ص ٣٩٣

(٤) سورة الرحمن ، آية ١١ ،

(٥) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء : جـ ١ : ص ١٥١ وفى الموشح " يخفن الغمر " : ص ٤٤ ،

فقد عابوا ذلك عليه ، وقالوا : ان خروج الضفادع من الماء انما لالتماسها الشطوط لتبيض هناك ، وليس لخوفها من الغم والغرق كما ذكر .

وعابوا على طرفة ايضا قوله يمدح قوما : (١)

أسد غيل فاذا ما شربوا * وهبوا اكل أمسون وطمر

ثم راحوا عبق المسك بهم * يلحفون الارض هداب الازر .

فقد قرن عطاءهم بحال سكرهم ، وانهم انما يهبون اذا تغيرت عقولهم ، ولم يشرط لهم ذلك فى صحوهم ، وهذا اشبه بالذم منه بالمدح ، لان السكران لا يدرك من تصرفه شيئا . وقد أراد من الشاعر أن يجعل لكل مقام مقالا ، فلا يمدح الملوك بصفات من هم أقل منهم منزلة ، كما يمدح السوقة بصفات الملك ، ولذلك عابوا على الاخطل قوله يمدح عبد الملك بن مروان : (٢)

وقد جعل الله الخلافة منهم * لأبيض لا عارى الخوان ولا جدب

فمدحه بحسن الضيافة والقرى وهذا مما لا يمدح به الملوك .

كما انتقصوا فى الشعر الافراط ، والغلو فى المبالغة ، والابتعاد عن الواقع ، وحبذوا فيه موافقته لمقتضى الحال ، فعابوا على النمر بن تولب قوله فى وصف سيف :

---

(١) المصدر السابق لابن قتيبة : الشعر والشعراء : جـ ١ : ص ١٩٤ وانظر الموشح : ص ٥٢ .

(٢) المصدر السابق : جـ ١ ص ٤٨٧ وانظر فى ذلك الموشح : ص ١٢٨ والصناعين : ص ٧٥ .

تظل تحفر عنه ان ضربت به * بعد الذراعين والساقين والهادى (١)

فذكر أنه ضرب به ، فقطع المضروب ، وغاص فى الارض ، حتى احتاج الى أن يحفر عنه ، وقالوا : ان هذا من الافراط والكذب .

هذا ولم يتساهل العلماء فى مخالفة الحقائق ، أو الواقع لغير دواع فنية لان ذلك ينم عن تقصير الشاعر ، وضعف ثقافته ، وجهله بعض تلك الحقائق ، أو وقوعه أحيانا فى الغلط كامرئ القيس فى قوله :

اذا ما الثريا فى السماء تعرضت * تعرض أثناء الوشاح المفصل (٢)

اعترض العلماء عليه وقالوا : الثريا لا تعرض لها ، والتمس له بعضهم عذرا فقالوا : انما أراد الجوزاء ، فذكر الثريا على الغلط .

ومما تقدم يتضح لنا أن ابن قتيبة فى معالجته لبعض العيوب الشكلية فى الشعر ، انما أراد ان يخلص الشعر العربى من بعض تلك العيوب التى تقلل من قيمته الفنية ، والا يسلك الشاعر " الاساليب التى لا تصح فى الوزن ولا تحلو فى الاسماع " (٣) وأن يختار " أحسن الروى ، وأسهل الالفاظ ، وأبعدها من التعقيد والاستكراه ، وأقربها من افهام العوام " (٤) وبهذا حرص على اصلاح لغة الشعر والارتقاء بها عن وحشة البداوة ، وغلظة الاعراب .

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : جـ ١ : ص ٣١١ .
(٢) المصدر السابق جـ ١ : ص ١١١ .
(٣) المصدر السابق جـ ١ : ص ١٠٢ .
(٤) المصدر السابق جـ ١ : ص ١٠٣ .

وقد بدا فى معالجته للعيوب الاعرابية عالما متمكنا من اللغة ،واسع الاطـــــلاع يدل على ذلك موقفه من احتجاج سيبويه ببيت من الشعر فى نسق الاســـــــم المنصوب على المخفوض ،حيث يقول : " وقد رأيت سيبويه يذكر بيتا ،يحتج بـــــه فى نسق الاسم المنصوب على المخفوض ، على المعنى لا على اللفظ ، وهو قـــــول الشاعر :

معاوى اننا بشر فأسجـــح * فلسنا بالجبـال ولا الحديـــــدا

قال : كأنه أراد : لسنا الجبال ولا الحديدا ، فرد الحديد على المعنى قبـل دخول " الباء " وقد غلط على الشاعر لان هذا الشعر كله مخفوض ." (١) وقد أورد ابن قتيبة بعد ذلك بيتين ليثبت أن القافية مخفوضة وهما قول الشاعر : (٢)

فهبها أمة ذهبت ضياعـــا * يزيـد أميرها وأبو يزيـــــد

أكلتم أرضنا وجردتموهـــا * فهل من قائم أو من حصيـــــد

أما فيما قدمه من مآخـذ العلماء على الشعراء ، فانه لم يطمئن الى صحة كـــل ما قدمه فحاول أن يرد بعض تلك المآخـذ ، ويثبت صحة ما قالته الشعـــــراء من ذلك ما نسبوه الى الكذب من قول عدى بن زيد العبادى : (٣)

رب نار بت أرمقهـــا * تقضم الهندى والغـــارا .

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : جـ ١ : ص ٩٨ ــ ٩٩
(٢) المصدر السابق : جـ ١ : ص ٩٩
(٣) المصدر السابق : جـ ١ : ص ٢٣٢ .

يريد بالهندى : العود .

فقد رأى ابن قتيبة أن فى حكمهم هذا جورا ، وأنهم لم يهتدوا الى مراد الشاعر ، ورد عليهم بقوله : " وليس هذا عندى كذبا ، لانه لم يرد أنه يوقدها بالعود ، وانما أراد أنها توقد بالغار ، وهو شجر ، وتلقى قطع العود على ذلك للطيب "(١).

ومن ذلك ايضا مما عابه العلماء على المسيب بن علس ، فى قوله يصف الناقة :

وكأن غارسها رباوة محرم * وتد ثنى جديلها بشراع (٢).

فقالوا : انه خلط بين الدقل والشراع ، " والدقل هو الخشبة التى يمد عليها الشراع فى وسط السفينة " ولم ير ابن قتيبة فى ذلك غلطا ، فقال : " وليس هذا عندى غلطا ، والشراع يكون على الدقل ، فسمى باسمه ، والعرب تسمى الشىء باسم غيره ، اذا كان معه وبسببه "(٣).

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : جزء ١ : ص ٢٣٤
(٢) المصدر السابق : جـ ١ : ص ١٧٧ .
(٣) المصدر السابق : جـ ١ : ص ١٧٨

الفصل الثالث

(قضية اللفظ والمعنى)

شارك ابن قتيبة غيره من النقاد القدامى الذين تحدثوا عن اللفظ والمعنى باعتبارهما من قضايا النقد العربى . وهذه محاولة للوقوف على تصور النقاد للفظ والمعنى باعتبارهما قيمتين اساسيتين فى الشعر ، وتطور هذا التصور وتنوع البحوث التى تناولت القضية .

فالنقاد القدماء لم يقصدوا باللفظ دائما اللفظ المفرد ، وانما قصدوا تركيب اللفظ فى جملة مفيدة تشاكل تلك العبارات التى يتكون منها العمل الادبى ليصبح وحدة متكاملة ، يتسم بالتنسيق والترابط بين أجزائه ، كما أنهم لم يقصدوا بالمعنى دائما دلالة اللفظ المفرد ، بل نظروا الى المعنى على أنه ما دل عليه مجموع التركيب اللفظى ، الا أنهم فى معالجتهم لهذه القضية انقسموا الى ثلاث طوائف : فمنهم من آثر اللفظ على المعنى ورآه اعظم قيمة منه ، وآخرون قدموا المعنى على اللفظ وأرجعوا ميزة الشعر اليه وحده ، وفريق ثالث حاول أن يقف موقفا وسطا وأن يسوى بين اللفظ والمعنى فى الأهمية .

ولقد احتفل فريق منهم بالمعانى متى كانت صحيحة حسنة رائقة ، وكان ذلك مطلبهم ، وهذا لا يعنى اطراحهم اللفظ جانبا ، وانما اهتمامهم بالمعنى يعنى تقديمه على اللفظ ، دون اغفال للفظ ، اذ جعلوا له منزلة تلى منزلة المعنى ، وقد كان أبو عمرو بن العلاء الذى استحسن

قول الشاعر (١) :

لا تحسبن الموت موت البلـــى * فانما الموت سؤال الرجـــال

كلاهما موت ولكن ذا * أفظـع من ذاك لذل السؤال ٠

من رواد أنصار المعنى ، فقد اهتم بالفكرة ، ولم يراع رونق العبارة وجمال الصياغة وقد ذهب هذا المذهب بعد ذلك ابن الأثير الذى جعل من التأنق فـــى تهذيب الالفاظ والعناية بها خدمة للمعانى حين يقول : " اعلم أن العـــرب كما كانت تعتنى بالالفاظ فتصلحها وتهذبها فان المعانى أقوى عندهـــا ، وأكرم عليها ، وأشرف قدرا فى نفوسها ٠٠٠ فاذا رأيت العرب قد اصلحـــوا الفاظهم وحسنوها ورققوا حواشيها ، وصقلوا أطرافها ، فلا تظن أن العنايـــة اذ ذاك انما هى بالفاظ فقط ، بل هى ، خدمة منهم للمعانى "(٢) وقد ضـــرب الشعراء بنصيب وافر فى هذا الاتجاه ، فاهتموا بالمعانى ، دون مراعـــاة للالفاظ كأبـى الطيب المتنبى ، وابن الرومى ، ومن شاكلهما من أصحاب عمـــود الشعر ٠

---

(١) الجاحظ ٠ الحيوان " مصر ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥ م) جـ ٣ ٠ ص ١٣١ ٠
بلغ من استحسان ابى عمرو الشيبانى للبيتين حين سمعهما " أن كلـــف رجلا حتى احضره دواة وقرطاسا حتى كتبهما له ٠ " وقد علق الجاحظ علـى ذلك بقوله : " وأنا أزعم أن صاحب هذين البيتين لا يقول شعرا أبدا ٠" ـ انظـر الجاحظ ٠ الحيوان جـ ٣ : ص ١٣١ ٠

(٢) ابن الاثير : المثل السائر " القاهرة ١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٥ م : ص ١٤٠ ٠

ويقف اللفظيون (١) أو أنصار اللفظ فى الجانب الثانى لينتصروا للصياغة . فقد جعلوا للفظ المكانة الاولى فى النص الادبى ، وقد ظن كثير من النقاد قديما وحديثا أن ابا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ كان يتصدر هذه المدرسة التى انضم اليها جمع كثيرون من نقاد العرب ، فقد فهموا أن الجاحظ لم ير للمعنى دورا كبيرا فى العمل الأدبى ، وانما رأى المعول فى ذلك على الالفاظ ، حيث يقول : " والمعانى مطروحة فى الطريق ، يعرفها العجمى ، والعربى ، والبدوى والقروى ، والمدنى ، وانما الشأن فى اقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج وكثرة الماء ، وفى صحة الطبع ، وجودة السبك (٢) " فالجاحظ يريد باللفظ مجموعة الاسلوب لا اللفظ المفرد ، وقد علق على ذلك بقوله : " فانما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير (٣) " وأعتقد أن الجاحظ من نصه السابق لم يحط من قيمة المعنى . فالمعانى ادوات أولية تحصل فى الذهن

---

(١) حاول الدكتور احمد احمد بدوى فى كتابه " أسس النقد الادبى عند العرب " حاول أن ينكر تقسيم النقاد فى هذه القضيه الى لفظيين ومعنويين اذ يقول " ان وهما كبيرا أملك على الباحثين قلوبهم ... هذا الوهم الكبير هو تقسيمهم نقاد العرب قسمين : لفظيين أو أنصار اللفظ .. ويضمون الجاحظ على رأس هذا الفريق ، ومعنويين أو انصار المعنى .. ويضمون على رأس هذا الفريق عبد القاهر الجرجانى " وقد انتهى به انكاره هذا الى التقسيم بين اللفظ والمعنى . انظر فى ذلك كتابه السابق القاهره ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م ص ٣٦٠ ـ ٣٦٧ .

(٢) الجاحظ : الحيوان : جـ ٣ : ص ١٣١ ـ ١٣٢ .

(٣) المصدر السابق : جـ ٣ : ص ١٣٢

عن طريق الاشياء التى نشاهدها ، وبعد أن تتبلور فى الذهن حسب تصوراتنا لها ، يعبر عنها بألفاظ تجسد ذلك التصور بحيث يصبح للمعانى وجود آخر عن طريق دلالة الالفاظ ، وهكذا يتضح لنا أن الصورة الاولى للمعانى باستطاعة كل انسان أن يتناولها ، ولكن المعول على الصورة الثانية التى تتكون باقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وجودة السبك ، لأن الشعر صناعة وضرب من التصوير ، كما يقول الجاحظ ، فالجاحظ ، لم يقصد باللفظ ، اللفظ المفرد وانما قصد به ، ذلك الاسلوب الفنى للعمل الادبى الذى يجسد الصورة الادبية . وهذا لا يعنى أن الجاحظ قد انحاز الى اللفظ واطرح المعنى ، فهو يرى أن هناك معانى لا يمكن أن تسرق ، من ذلك وصف عنترة للذباب " فانه وصفه فأجاد صفته فتحامى معناه جميع الشعراء فلم يعرض له أحد منهم ، ولقد عرض له بعض المحدثين ، ممن كان يحسن القول ، فبلغ من استكراهه لذلك المعنى ومن اضطرابه فيه ، أنه صار دليلا على سوء طبعه فى الشعر ، قال عنترة :

جادت عليها كل عين ثرة * فتركن كل حديقة كالدرهم

فترى الذباب بها يغنى وحده * هزجا كفعل الشارب المترنم

غردا يحك ذراعه بذراعه * فعل المكب على الزناد الاجذم (١)

---

(١) الجاحظ : الحيوان جـ ٣ : ص ٣١١ ـ ٣١٢ .

وهذا دليل على أن الجاحظ رأى أن السرقى المعنى قبل اللفظ ، وهو لو لم يهتم بالمعاني لما قال : " ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين ، وبين أقدار الحالات ، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني "[1] ولهذا فان المعاني المطروحة عند الجاحظ هي تلك المعاني الأولية ، قبل أن يتناولها الأديب بالتعبير ، فيبرزها في المعرض الذي يريد . وعلى هذا الاساس لا يحكم على الشعر الا على ضوء ما يحدث فيه من تلك الصور ، لأن المعاني هي مادة الشعر ، ولا يكون الشعر الا بتصور هذه المعاني ، فلا يحكم على الشعر بمادته ، وانما يحكم عليه بصورته ، وقد التقى قدامة بن جعفر مع الجاحظ في هذه الفكرة[2] .

وقد فهم بعض أنصار هذه المدرسة بعد الجاحظ أن الفضيلة ترجع الى اللفظ وحده ، ومن هؤلاء أبو هلال العسكري الذي يرى ان المعاني مشتركة بين العقلاء ، فربما وقع المعنى الجيد للسوقي ، والنبطي ، والزنجي ، وانما يتفاضل الناس في الالفاظ ورصفها ، وتأليفها ، ونظمها "[3] فقد أخذ يردد أقوال الجاحظ في اللفظ دون فهم منه لما أراده الجاحظ حيث يقول : " وليس

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين : جـ ١ ص ١٦٦
(٢) انظر : قدامة : نقد الشعر " مصر ١٣٦٧هـ — ١٩٤٨ م " ص ١٣ ومابعدها
(٣) العسكري : الصناعيين ص ١٩٦ .

الشأن فى ايراد المعانى ، لان المعانى يعرفها العربى ، والعجمى ، والقروى والبدوى ، وانما هو فى جودة اللفظ ، وصفائه ، وحسنه ، وبهائه ، ونزاهته ونقائه ، وكثرة طلاوته ومائه ، مع صحة السبك والتركيب ، والخلو من أود النظم والتأليف وليس يطلب من المعنى ، الا أن يكون صوابا ، ولا يقنع من اللفظ بذلك حتى يكون على ما وصفناه من نعوته التى تقدمت . " (١) فهو فى معالجته لتلك القضية لم يتنبه للرباط الذى يربط بين اللفظ والمعنى ، ويشبهه فى هذا الموقف ابن رشيق القيروانى ، حيث جمع آراء السابقين ومواقفهم بالنسبة لتلك القضية ، ثم قال بعد ذلك : " وأكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى ، سمعت بعض الحذاق يقول : قال العلماء : اللفظ أغلى ثمنا وأعظم قيمة ، وأعز مطلبا ، فان المعانى ، موجودة فى طباع الناس ، يستوى الجاهل فيها ، والحاذق ، ولكن العمل على جودة الالفاظ ، وحسن السبك ، وصحة التأليف . " (٢) فابن رشيق والعسكرى يريان . أن الشأن فى تهذيب الالفاظ مع صحة السبك ، وجودة التركيب . وقد تطرف ابن خلدون فى هذه القضية ، فجعل المعول الاول على الالفاظ ، وأن المعانى تبع لها وهى فى متناول كل انسان ، " وفى طوع كل فكر منها ما يشاء ، ويرضى ، فلا يحتاج الى صناعة ، وتأليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة " (٣) ولذلك يرى أن صناعة الكلام " انما هى فى الالفاظ لا فى

---

(١) العسكرى : الصناعين : ص ٥٧ ـ ٥٨ .
(٢) ابن رشيق : العمده . جـ ١ : ص ١٢٧ .
(٣) ابن خلدون : المقدمة . (طبعه مصريه بدون تاريخ) ص ٥٧٧ .

المعانى ، وانما المعانى تبع لها ، وهى أصل "(١)

وعلى هذا نرى أن كل من انضم الى هذه المدرسة اللفظيه لم يغفلوا المعنى حتى المتطرفين منهم ولكنهم جعلوه أقل مرتبة من اللفظ عند من أتى بعد الجاحظ .

وقد بلغ الاهتمام باللفظ ذروته عند البلاغيين الذين عنوا بالحلية اللفظية فافتنوا فيها ، اذ رأوا فى ذلك تجديداً أو إبداعا .

على أن من نقاد العرب من وقف من تلك القضية موقفا وسطا ، فنظروا الى اللفظ والمعنى معا ، ورأوا أن البلاغة تكون فى المعانى ، كما تكون فى الالفاظ فقد يكون الجمال فى النص الادبى من قبل المعنى منفردا ، أو من قبل اللفظ وحده ، وأحيانا من قبلهما مجتمعين .

وكان بشر بن المعتمر المتوفى سنة ٢١٠ أول من حاول أن يجمع بين اللفظ والمعنى ، فأخذ ينصح بترك التوعر ، والتكلف ، حيث قال : " واياك والتوعر فان التوعر يسلمك الى التعقيد ، والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك ، ويشين الفاظك ، ومن أراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما ، فان حق المعنى الشريف ، اللفظ الشريف ، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ، ويهجنهما وعما تعود من أجله الى أن تكون أسوأ حالا منك قبل أن تلتمس اظهارهما

---

(١) ابن خلدون : المقدمة . (طبعة مصرية بدون تاريخ) ص ٥٧٧ .

وترتهن نفسك بملابستهما ، وقضاء حقهما ." (١) وأولى المنازل فى رأيه " أن يكون لفظك رشيقا عذبا ، وفخما سهلا ، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا ، وقريبا معروفا - اما عند الخاصة ان كنت للخاصة قصدت ، واما عند العامة ان كنت للعامة اردت — والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معانى الخاصة وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معانى العامة . وانما مدار الشرف على الصواب واحراز المنفعة ، مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال . وكذلك اللفظ العامى والخاصى ." (٢) فهو وان حاول أن يسوى بين اللفظ والمعنى فى الاهمية ، الا أنه تطلب فى المعنى فكرة صحيحة ثم أخذ يتحدث عن أهمية الالفاظ واختيارها وصواب المعانى ، واحراز المنفعة مع موافقة الحال . وهو بهذا أقرب الى روح البلاغة منه الى النقد ، واختلاف النقاد حول هذه القضية يرجع الى انهم لم يكتشفوا الصورة التى تقوم بعملية الربط بين اللفظ والمعنى ، فنظر أنصار المعنى الى اللفظ منفصلا عن الصورة فلم يجدوا له الا قيمة ثانوية فقالوا بأهمية المعنى . ونظر انصار اللفظ الى المعنى منفصلا عن الصورة ايضا ، فلم يروا له كبير خطر ، فقالوا بأهمية اللفظ ، ولو أنهم اكتشفوا الصورة لادركوا جميعا أنها مناط الجمال والقيمة فى الادب ، فالعبرة اذن بالصورة التى لم يصرح بها أحد من الفريقين ، ولهذا اختلفوا فى مقياس الجمال الادبى ، أهو اللفظ ، أم هو المعنى ، أم هما جميعا ؟ .

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين . جـ ١ : ص ١٦٣ .
(٢) المصدر السابق : جـ ١ : ص ١٦٢ — ١٦٤ .

وهذا ما تبين لنا حين وقفنا على آراء النقاد واتجاهاتهم المختلفة فى تلـــــك القضية ، وتصورهم لها ، ومدى تطور ذلك التصور على مدى الزمن .

وقد عرض لهذه القضية ابن قتيبة ، حـين قسم الشعر الى اربعة أقسام ، وقـرر أن ركنى الشعر هما اللفظ والمعنى ، وعالجهما مقترنين فى النص الادبـــــى لا يحكم عليه بواحد منهما دون الاخـر ، لان العمل الادبى لا يكون كامـــلا مستويا الا باستيفاء شروط الجودة فيهما معا ، فحاول بذلك ان يضع قواعد لنقـــد الشعر ، فقسمه الى اربعة أضرب ، " قال ابو محمد : تدبرت الشعر فوجدته اربعة اضرب : ضرب منه حسن لفظـه وجاد معناه كقول القائل فى بعض بنى أميـــة :

فى كفه خيزران ريحها عبـق * من كف أروع فى عرنينه شمم

يغضى حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم الا حين يبتســـم

وكـقول أوس بن حجـر :

أيتها النفس أجملى جزعـــا * ان الذى تحذرين قد وقعـا .

وكقول أبى ذؤيب :

والنفس راغبة اذا رغبتهـــا * واذا ترد الى قليل تقنـــع (١)

ثم يقول : " ومثل هذا فى الشعر كثير ليس للاطالة به فى هذا الموضع وجه . (٢)

فهذا الضرب عنده أحسن ضروب الشعر على الاطلاق فألفاظه حسنه مستعذبة

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، جـ ١ : ص ٦٤ــ ٦٥ .
(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، جـ ١ ص ٦٦ .

وقعت فى مواقعها من المعانى ، ولذلك اعتبره مقياسا اعلى للجمال الشعرى ولكنه ضيق على نفسه الطريق حتى كاد يستغلق عليه . عندما حاول أن يجعل لكل بيت من الشعر معنى مستقلا ، وعندما تطلب معنى اخلاقيا حينما أعجب ببيت أبى ذؤيب السابق ، لان المعانى الاخلاقية ليست كل شىء فى الشعر الذى يقوم على التصوير الفنى ، ثم ان هناك تعليقات يوردها بعد الابيات التى اختارها لهذا الضرب من الشعر كأن يقول : " لم يقل فى الهيبة شىء أحسن منه . لم يبتدئ احد مرثية بأحسن من هذا . ولم يقل فى الكبر شىء أحسن منه . لم يبتدئ أحد من المتقدمين بأحسن منه ولا أغرب . "(١) وهى كما ترى تعليقات بعيدة عن روح التحليل ، وباكتمال الحديث عن أقسام الشعر الاربعة سيتبين لنا ما فى هذا التقسيم من الدقة المنطقية التى لا تجدى شيئا ، فقد أراد أن يكمل تقسيمه الذى التزمه ، فوصف الضرب الثانى من الشعر على أنه ما " حسن لفظه وحلا ، فاذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة فى المعنى ، كقول القائل :

ولما قضينا من منى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ماسح

وشدت على حدب المهارى * ولا ينظر الغادى الذى هو رائح

رحالنا

أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطى الاباطح "(٢)

فحكم على قيمة الشعر من خلال الدلالة المعنوية ، واغفل الركن الثانى الذى

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . جـ ١ : ص ٦٥ ـ ٦٦ .
(٢) المصدر السابق جـ ١ : ص ٦٦ .

يمثله اللفظ ، وكأنه يرى أن الغرض الاساسى يكمن فى المعنى ، وأن الالفاظ لابد أن تكون فى خدمة المعانى ، وهو عندما اعتبر معناها عاديا ، كان يبحث عن فكرة ، لانه نظر الى ما تحتها من معنى فوجده " ولما قطعنا أيام منى واستلمنا الاركان وعالينا ابلنا الانضاء ، ومضى الناس لا ينتظر الفادى الرائح ، ابتدأنا فى الحديث ، وسارت المطى فى الابطح "(١) وطريقته هذه فى نثر الابيات ثم الحكم على قيمتها الفنية ليست طريقة مأمونة ، لانه أفقدها ذلك التناسق التعبيرى ، والايقاع الناشئ من ذلك التناسق ، كما سلبها تلك الصور التى يبدو فيها التعبير . وقد تبعه فى نثر الابيات ابو هلال العسكرى ثم قال بعد ذلك " وليس تحت هذه الالفاظ كبير معنى ، وهى رائقة معجبة "(٢) وسار على طريقهما الباقلانى حين علق عليها بقوله : " وهذا من الشعر الحسن الذى يحلو لفظه وتقل فوائده "(٣) . فهؤلاء الذين فتشوا عن الفائدة ولم يجدوها ، اعتبروا معناها عاديا لانهم فهموا المعنى بمعنى الفكرة ولو أنهم نظروا الى الصورة لاستجادوا معناها ، لاننا نجد كثيرا من رواة الادب يرويها على أنها جيدة المعنى ، وهؤلاء الذين استجادوا معناها ، هم الذين تنبهوا للصورة التى أضفت على الابيات جمالا فنيا ، من جهة الالفاظ حتى أصبح المعنى مستوفى على قدر مراد الشاعر . فابن طبا طبا يرى فى تلك الابيات

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . جـ ١ : ص ٦٧
(٢) العسكرى : الصناعتين : ص ٥٩ .
(٣) الباقلانى : اعجاز القرآن (القاهرة ١٩٦٢) ص ٢٢٢ (لم يكن العسكرى =

صورة رائقة ومعنى مستوفى ،حيث يقول : " هذا الشعر هو استشعار قائله لفرحة قفوله الى بلده وسروره بالحاجة التى وصفها من قضاء حجه ، وأنسه برفقائه ، ومحادثتهم ، ووصفه سيل الأباطح بأعناق المطى كما تسيل بالمياه ، فهو معنى مستوفى على قدر مراد الشاعر ." (١) وكما استحسن ان طبا طبا تلك الابيات ، فان عبد القاهر الجرجانى قد عارض ابن قتيبة ، ولم يوافقه فى الاستهانة بها لانها تمثل لوحة فنية لقوم عائدين الى اوطانهم ، اكتسبت تصويرا فنيا رائعا مع ترتيب تكامل معه البيان حتى وصل المعنى الى القلب مع وصول اللفظ الى السمع واستقر فى الفهم ، مع وقوع العبارة فى الاذن ." (٢) وقد أسهب عبد القاهر (٣) فى الحديث عن استحسانه لتلك الابيات التى أجاد فى بيان حسنها ،حيث رأى أن حسن الالفاظ وسلاستها مقرونة بحسن النظم الذى ادى الى تأليف الصورة

= والباقلانى هما اللذان تأثرا بابن قتيبه فى هذا الضرب من الشعر ، فقد مثل بها قدامة ابن جعفر للشعر الذى يستجاد بألفاظه وان خلا من سائر نعوت الجودة ،فتأثر به فى الابيات وفى الفكرة نفسها ، على أن قدامة يشعرنا بأن هناك عيبا خارجا عن اللفظ ، أما ابن قتيبه فقد حدد ذلك العيب بتفاهة المعنى . (انظر بدوى طبانه : قدامة والنقد الادبى (مصر ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م) : ص ١٤٩ ـ ١٥٠ .

(١) ابن طباطبا : عيار الشعر (القاهرة سنة ١٩٥٦ م ص ٨٤ .

(٢) عبد القاهر الجرجانى : اسرار البلاغة (تحقيق هـ . ريتر استانبول سنة ١٩٥٤ م ص ٢٢ .

(٣) يقول عبد القاهر فى حديثه عن ابيات الحجيج : " وأول ما يتلقاك من محاسن هذا الشعر أنه قال : " ولما قضينا من منى كل حاجة " . فعبر عن قضاء المناسك بأجمعها والخروج من فروضها ومسنوناتها طريق أمكنه أن يقصر معه اللفظ ، وهو طريقة العموم ، ثم نبه بقوله : " ومسح بالاركان من هو ماسح "

كما أرادها الشاعر . على أن ابن قتيبة لم يكتف بايراد تلك الابيات التي تصف عودة الحجيج ، والتي اختارها تطبيقا لقاعدته النقدية في الضرب الثاني

على طواف الوداع الذي هو آخر الامر ، ودليل السير الذي هو مقصوده من الشعر ثم قال : " اخذنا بأطراف الاحاديث بيننا " فوصل بذكر مسح الاركان ماوليه من زم الركاب ، وركوب الركبان ، ثم دل بلفظة " الاطراف " على الصفة التي يختص بها الرفاق في السفر من التصرف في فنون القول ، وشجون الحديث ، أو ما هو عادة المتطوفين من الاشارة والتلويح ، والرمز ، والايماء ، وأنبأ بذلك عن طيب النفوس ، وقوة النشاط وفضل الاغتباط ، كما توجبه ألفة الاصحاب ، وأنسة الاحباب وكما يليق بحال من وفق لقضاء العبادة الشريفة ، ورجا حسن الاياب ، وتنسم روائح الاحبة والاوطان ، واستماع التهاني والتحايا من الخلان والاخوان ، ثم زان ذلك كله باستعارة لطيفة طبق فيها مفصل التشبيه ، وأفاد كثيرا من الفوائد بلطف الوحي والتنبيه ، فصرح أولا بما أومأ اليه في الاخذ بأطراف الاحاديث من انهم تنازعوا أحاديثهم على ظهور الرواحل ، وفي حال التوجه الى المنازل ، وأخبر بعد بسرعة السير ، ووطأة الظهر ، اذ جعل سلاسة سيرها بهم كالماء تسيل به الاباطح ، وكان في ذلك ما يؤكد ما قبله ، لان الظهور اذا كانت وطيئة ، وكان سيرها السير السهل السريع زاد ذلك في نشاط الركبان ، ومع ازدياد النشاط يزداد الحديث طيبا ، ثم قال : " بأعناق المطى " ولم يقل : " بالمطى " لان السرعة والبطء يظهران غالبا في اعناقها ، وبين امرها من هواديها وصدورها ، وسائر اجزائها تستند اليها في الحركة وتتبعها في الثقل والخفة ويعبر عن المرح والنشاط اذا كانا في انفسها بأفاعيل لها خاصة في العنق والرأس ، ويدل عليهما بشمائل مخصوصة في القاديم " " اسرار البلاغة : ص ٢٢ ــ ٢٣ " .

من اضرب الشعر ، وانما اورد ابياتا لجرير [1] وصفها ايضا بقلة الفائدة التى ترجع الى المعنى ، الا أن أبا هلال العسكرى قد انكر على ابن قتيبه ضعف ذوقه الذى جعله يقلل من قيمة تلك الابيات التى عبرت عن تجارب قائلها وعن أحاسيسه ومشاعره ، فقال فى معرض الرد عليه : " وأنا لا أعلم معنى أجود ولا أحسن من معنى هذا الشعر "[2].

ويمضى ابن قتيبه فى طريقه الذى اختطه لوضع قواعد للشعر متخذا اللفظ والمعنى أساسا لذلك ، فيتحدث عن الضرب الثالث من اضرب الشعر وهو ما " جاد معناه وقصرت الفاظه عنه كقول لبيد :

ما عاتب المرء الكريم كنفسه * والمرء يصلحه الجليس الصالح [3]

ثم يعلق على ذلك بقوله : " هذا وان كان جيد المعنى والسبك فانه قليل الماء والرونق "[4] ولعله يقصد بقوله : " قليل الماء والرونق " ان البيت انما يخاطب

---

(١) ابيات جرير هى قوله :

بان الخليط ولو طوعت ما بانا * وقطعوا من حبال الوصل أقرانا
ان العيون التى فى طرفها مرض * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن أضعف خلق الله أركانا

(ابن قتيبه : الشعر والشعراء ، جـ١ : ص ٦٨ .

والآن أى معنى يريده ابن قتيبة من هذه الابيات ، ان حقائقها المعنوية وقعت لصاحبها الواصف لها ، فعبر عن تلك الحقائق تبعا لتصوره لها ، فأتت صورا جميلة صادقة .

(٢) العسكرى : الصناعين . ص ٤ .

(٣) ابن قتيبة : الشعر والشعراء جـ ١ : ص ٦٨

(٤) المصدر السابق : جـ ١ : ص ٦٨ .

العقل ، اذ لم يكن للعاطفة دور فى التصوير الفنى ، أو لعله يقصد بذلك ، الصلة الضعيفة التى نلمحها بين شطرى البيت فهو معيب من ناحية الالفاظ .

وعلى هذا الاساس نلمح أن الضرب الثانى ، والضرب الثالث معيبان من ناحية واحدة ، من ناحية عدم وجود الفكرة فى الثانى ، وقلة الماء والرونق فى الثالث أما الضرب الرابع فقد وصفه بأنه ما " تأخر معناه ، وتأخر لفظه ، كقول الاعشى :

وفوها كأقاحى * * غذاه دائم الهطل

كما شيب براح با * * رد من عسل النحل (١)

فهو معيب من كل ناحية ، واذا كان كذلك فالأولى به الا يسميه شعرا ، لانه فقد ركنى العمل الادبى ، وهما اللفظ والمعنى ، وما يحدث بينهما من ترابط يجعل من النص الادبى وحدة متكاملة . ومما تقدم نلمس عند ابن قتيبة أن تطلبه للفظ لا يقصد من ورائه اللفظ المفرد ، وانما قصد مجموعة الاسلوب الذى يكتمل به التأليف والنظم بما يضم من لفظ مختار ، ووزن صحيح ، وروى حسن ، أما تطلبه المعنى فانه يريد به وجود فكرة نفسية يفصح عنها البيت أو الابيات ، ويتضح ذلك من أنه عاب على الاصمعى اختياره لقول المرقش :

" هل بالديار أن تجيب صم * لو أن حيا ناطقا كلم

يأبى الشباب الاقورين ولا * تغبط أخاك أن يقال حكم

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . جـ ١ ص ٦٩ . اعتقد أن اختيار الاصمعى لهذا الشعر انما كان لبحثه وراء الغريب من الالفاظ ، وتطلبه اياه .

اذ أدخله فى متخيره وهو شعر ليس بصحيح الوزن ، ولا حسن الروى ، ولا — متخير اللفظ ، ولا لطيف المعنى "(١) .

على أن ابن قتيبه لم يقتصر على تقسيمه الشعر الى أربعة أقسام متخذا اللفظ والمعنى اساسا لذلك التقسيم ، فهو يرى أن هناك أثرا فنيا لجودة اللفظ أو رداءته ، أو حسنه وقبحه ، حيث يقول : " وقد يقدح فى الحسن قبح اسمه كما ينفع القبيح حسن اسمه ، ويزيد فى مهابة الرجل فظاعة اسمه ، وترد عدالة الرجل بكنيته ولقبه ولذلك قيل ، اشفعوا بالكنى فانها شبهة "(٢) . ولهذا عاب شعر الخليل بن أحمد(٣) ، وأدخله فى جملة الشعر المتكلف الردئ — الصنعة ، حين أفسده بذكر بعض الاسماء البشعة فى مقام التشبيب الذى يحتاج الى أن يكون مستعذب الالفاظ ، جيد السبك حلو المعانى ، سهلا غير متكلف . فقال : " ولو لم يكن فى هذا الشعر الا "ام البنين" ، و" يوزع لكفاه كما(٤) يرى ايضا أن تكرير اللفظ فى المعنى الواحد معيب واستشهد على ذلك

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء — ج ١ ص ٧٢ — ٧٣

(٢) المصدر السابق جـ ١ : ص ٧٠ — ٧١ .

(٣) شعر الخليل بن احمد هو قوله :—

ان الخليط تصدع ... فطر بدائك اوقع
لولا جوار حسان ... حور المدامع اربع
ام البنين وأسما ... ء والرباب ويوزع
لقلت للراحل ارحل ... اذا ابدالك أودع .

(ابن قتيبه : الشعر والشعراء جـ ١ : ص ٧٠ وهذا الشعر ليس معيبا بورود الاسماء البشعة فحسب ، وانما معيب من كل ناحية ، لانه مكدود مستكره ، الفاظه غثة جافة ، وقافيته باردة فاترة وما أجدر ما كان بهذه الصفة الا يسمى شعرا ، وان كان موزونا مقفى ، لان المقصود بالشعر معدوم منه ، وما كان بهذه الهيئة من الشعر فان النفس لا تتأثر به ، لان بشاعة معرضه تحول بينه وبين التأثر به .

(٤) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . جـ ١ : ص ٧٠

بقول الاعشـــى :

وقد غدوت الى الحانوت يتبعنى شاو مشل شلول شلشل شول ٠ (١)

فقد اورد اربعة الفاظ فى معنى واحد ٠ وهذا مما يشين الكلام ويذهب بطلاوتـه وكان يكفيه منها لفظ واحد ٠

وهكذا نلمح من ابن قتيبة فى معالجته لقضية اللفظ والمعنى ، أنه قســـم الشعراء الى اضرب متخذا اللفظ والمعنى أساسا لذلك التقسيم ، وهذا فهـم منطقى لطبيعة الشعر ، فالشعر عنده عنصران لفظ ومعنى ، فمن صفات اللفـظ الذى يشمل الاسلوب بكل ما فيه : أن يكون أحسن شىء مخارج ومطالع ومقاطـع جيد السبك له ماء ورونق بعيدا عن التكلف والتعمل الردىء ، ليس فيـــه بشاعة ، ويكون كذلك خاليا من عيوب الشعر صحيح الوزن ، حسن الروى ٠

أما المعانى عنده فهى التى تتحدث عن تجربـة ، أو أمر واقـع فى الحيـاة اذ رأى أن من المعانى ما لا يكون تحته فائدة نفعية كتلك التى تكون فكرة عاديـة والتى مثل لها بالضرب الثانى من أقسام الشعر ، والعجب منه أنه لا ينظـر الى العمل الادبى كوحدة متكاملة تتضمن الشكل والمضمون فى النص الادبى المتكامـل وانما يصدر حكمه على ذلك بمجرد نظرته الى البيت والبيتين والثلاثة الابيـات احيانا ٠ وهذا لا يساعد على تمكن الناقد من اصدار الحكم على العمل الادبـى ككل وابراز ما فيه من جمال فنى أو العكس ٠ ولا شك أن العقلية العلميـة

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٠ جـ ١ : ص ٧١ ٠

قد حدت بابن قتيبه الى أن يقسم الشعر هذا التقسيم المنطقى الذى لايجدى شيئا ، اذ رأينا أن جميع الذين تناولوا تلك القضية لم يستطيعوا أن يتفقوا على الحسن الذى يكمن فى اللفظ والمعنى أحدهما أو كليهما ، ودليلنا على ذلك انهم اختلفوا حول الضرب الثانى من اضرب الشعر التى عالجها ابن قتيبه ، فمنهم من رأى فى تلك الابيات التى تصف عودة الحجيج المعنى الجيد فأثرها لجودة معناها ، ومنهم من اعتبر أن معناها عادى لا فائدة تحته.

وعلى هذا الاساس كانت احكام ابن قتيبة فى هذه القضية ـ قضية اللفظ والمعنى قائمة على اساس منطقى غير فنى ـ فقد حاول أن يجعل للشعر قواعد مستمداً حكمه من بيت واحد أو بيتين أو ثلاثة أبيات ، وأراد أن يجعل اللفظ فى خدمة المعنى احيانا ، فتخبط فى قضية العلاقة بينهما ، وشغل نفسه بهذا التقسيم المنطقى الذى دل على ضعف ذوقه فى معالجته للقضية.

وقد تأثر بتلك التقسيمات بعض النقاد ممن اتى بعده فقدامة بن جعفر (١) نقل عنه الضرب الثانى من أقسام الشعر ، الا أنه ذهب الى أبعد من ذلك حيث تدبر الشعر فوجده ثمانية اضرب.

اما ابن طباطبا فانه رأى أن العلاقة بين اللفظ والمعنى كالعلاقة بين الروح والجسد فهو وان سار على خط ابن قتيبه فى محاولة الربط بين اللفظ والمعنى

---

(١) انظر . قدامة بن جعفر : نقد الشعر : ص ١٤٩ ـ ١٥٠.

الا أنه أوضح من ابن قتيبة فى ذلك الخط ، لانه لم يقتصر فى العلاقة بينهما على الوجوه الاربعة التى ذكرها ابن قتيبة ، فحاول أن يحرر نفسه من التقسيم المنطقى ، الا أنه وقع فى نفس الخطأ من حيث لا يشعر ، حيث شغل نفسه بتقسيمات للشعر تقوم اولا على المعنى ثم اللفظ ثانيا "(١)

الا أن المسألة بدأت تأخذ شكلها الصحيح عند الذين تناولوا البحث فى اعجاز القرآن ممن أتوا بعد ابن قتيبة ، حيث كانت المعانى والالفاظ موضع اهتمامهم على السواء فالرمانى(٢) : يرى أن اعلى درجات البلاغة " ايصال المعنى الى القلب فى أحسن صورة من اللفظ "(٣) وأن جمال الاسلوب ورونقة يكون " باجتماع امور يظهر بها للنفس أن الكلام من البلاغة فى اعلى طبقة ، وان كان يلتبس فيما قل بما حسن به جدا لايجازه وحسن رونقة ،وعذوبة لفظه ، وصحة معناه "(٤)

اما الخطابى(٥) : فقد بنى نظريته فى النظم بتقسيم الكلام الى ثلاثة أقسام

---

(١) انظر ابن طباطبا : عيار الشعر ، ص ٤٩ ــ ١٠٦

(٢) هو : ابو الحسن على بن عيسى الرمانى المعتزلى ــ كان يعرف بالاخشيدى نسبة الى استاذه ابن الاخشيد وبالوراق لانه كان يحترف الوراقة ، وبالمعتزلى لانه كان من المعتزله ولد سنة ٢٧٦ هـ وتوفى سنة ٣٨٤ هـ له كتاب " النكت " فى اعجاز القرآن نشر ضمن ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن " نشر دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٦ م "٠

(٣) د٠ محمد زغلول سلام : أثر القرآن فى تطور النقد العربى " مصر سنة ١٩٦٨ " ص ٢٣٦٠

(٤) المصدر السابق : ص ٢٥٠ ــ ٢٥١٠

(٥) ابو سليمان الخطابى : احمد بن محمد بن ابراهيم الخطابى البشتى ولد سنة ٣١٩ هـ من أئمة المحدثين بنيسابور له كتاب " بيان اعجاز القرآن " نشر ضمن ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن " نشر دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٦م "

يكون باجتماعها قد اكتسب الوحدة التي هي من صفات الكلام الجيد ، وتلك الاقسام هي :ـ

١ـ لفظ حامل .

٢ـ ومعنى به قائم .

٣ـ ورباط لها ناظم .(١)

وهو بهذا قد ادرك الصورة التي عليها مدار اعجاز القرآن فهو " انما صار معجزا لانه جاء بأفصح الالفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني "(٢) .

على أن كل الدراسات والبحوث التي دارت حول قضية اللفظ والمعنى قد وصلت جميعها الى عبد القاهر الجرجاني ، فكانت بمثابة جداول غنية أثرت نظرية النظم التي تبناها عبد القاهر واكتملت على يده ، وقد صرح بذلك حيث قال : " ولم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى الفصاحة والبلاغة ، والبيان والبراعة ، وفي بيان المغزى من هذه العبارات وتفسير المراد بها ... ووجدت ـ المعول على أن ها هنا نظما وترتيبا ، وتأليفا ، وتركيبا ، وصياغة وتصويرا وتحبيرا ، وان سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي مجاز فيه سبيلها في الأشياء التي هي حقيقة فيها . وأنه كما يفضل هناك النظم والتأليف التأليف . والنسج النسج ، والصياغة الصياغة ، ثم يعظم الفضل ، وتكثر المزية

(١) د . محمد زغلول سلام : أثر القرآن في تطور النقد العربي . ص ٢٥٧ .
(٢) د . محمد زغلول سلام : أثر القرآن في تطور النقد العربي . ص ٢٥٧ .

حتى يفوق الشيء نظيره . والمجانس له درجات كثيرة ، وحتى تتفاوت القيم التفاوت الشديد كذلك يفضل بعض الكلام بعضا ويتقدم منه الشيء الشيء."(١)

وقد اسهب الجرجانى فى شرحه لنظريته فى الفصاحة والبلاغة التى يعنى بهما اجادة القول ، وحسن البيان ، مع اخضاعهما للتعليل ، اذ " لابد لكل كلام تستحسنه ولفظ تستجيده من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة وعلة معقولة."(٢)

وكأنه باسهابه فى شرح نظريته وتكريره وترجيعه احيانا ، انما يقف موقف المحتج الذى يحاول أن يرد حجج مذهب المتطوفين فى قضية اللفظ والمعنى ، الذين حاولوا تقديم احدهما على الآخر .

ولقد كانت الصورة التى تربط بين اللفظ والمعنى عند عبد القاهر أوضح وأدق منها عند غيره ممن سبقوه . فكانت عونا له فى كشف اسرار الجمال فى العمل الادبى ، لان بلاغة القول لا تكون الا فى اجتماع اللفظ والمعنى ، مع حسن التركيب ، وجودة السبك وارتباط اجزاء القول .

---

(١) عبد القاهر الجرجانى : دلائل الاعجاز (مصر ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م) ص ٨٠ ـ ٨١ .

(٢) المصدر السابق : ص ٨٥ .

الفصل الرابع

دواعي حفظ الشعر واختياره

شغف النقاد العرب بجمال التعبير وأناقته ، واصابة المعنى ، وحسن المطالع والمقاطع ، والتئام أجزاء النظم ، وتفننوا فى تمييز الكلام جيده من رديئه .

وقد كان كثير من النقاد يتخذون الجودة(١) فى الشعر مقياسا للمفاضلة بين الشعراء ، فمتى كان الجيد فى شعر الشاعر اكثر من الجيد فى شعر غيره كان المقدم ، ومن هؤلاء ابن قتيبه حيث يقول : " ولا أحسب أحدا من أهل التمييز والنظر ، نظر بعين العدل وترك طريق التقليد يستطيع أن يقدم أحدا من المتقدمين المكثرين على أحد الا بأن يرى الجيد فى شعره اكثر من الجيد فى شعر غيره(٢) "

---

(١) جعل ابن سلام الجودة والكثرة مما الاساس الذى أقام عليه طبقات الشعراء لكنه قدم الجودة على الكثرة حيث يقول : " وكان الاسود شاعرا فحلا وكان يكثر التنقل فى العرب يجاورهم فيذم ويحمد وله فى ذلك أشعار ، وله واحدة رائعة طويلة لاحقه بأجود الشعرلو كان شعرها بمثلها قدمناه على مرتبته وهى :

نام الخلى وما أحس رقادى * والهم محتضر لدى وسادى .

وله شعر جيد ولاكهذه . " ابن سلام . طبقات فحول الشعراء . القاهرة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م جـ ١ . ص ١٤٧ . ومن هذا النص يتبين أن ابن قتيبة يتخذ من الكثرة مقياسا لقيمة الشعر كما فعل ابن سلام .

(٢) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . جـ ١ ص٨١

وقد يبدو مقياس الجودة في المفاضلة بين الشعراء موضوعيا لانه يتصل بالشعر من حيث هو ولا يتصل بالشاعر . الا أن هذا المقياس النقدى يتوقف تحقيقه على مدى القدرة على التمييز بين جيد الشعر ورديئه وهذا لا يتهيأ الا لمن بلغ منزلة واسعة في معرفة اساليب الكلام العربى .

الا أن الحكم على شعر الشاعر وتفضيله على شعر آخر يخضع عند ابن قتيبة لعدة عوامل . منها ما ذكره في النص السابق ، وهو التقديم على أساس الجودة وكثرتها في شعر الشاعر المفضل عنها في شعر غيره .

ومنها ان هناك ظروفا عدة قد تستدعى القارئ احيانا لاختيار النصوص تبعا لاتجاهات وميول معينة خاصة به دون أن يعتمد أساسا فنيا لاختيارها .

وبذلك أراد ابن قتيبة أن يخضع اختيار الشعر احيانا لظروف بعيدة عن طبيعة النقد ، فقد رأى أن اللفظ والمعنى ليسا كل شئ في الشعر وأن هناك امورا أقرب الى روحه ، كما رأى أن حفظ الشعر وتداوله بين الناس ليس دائما دليلا على جودته . فهو يقدم الشاعر أو يختار شعره على أسس يذكرها بعضها نقدى سليم وبعضها ليس كذلك . فهو مثلا يقدم الشعر الذى يشغل الذهن بطول القراءة والغوص وراء استخراج المعانى الجيدة . " قال الرشيد للمفضل الضبى : اذكر لى بيتا جيد المعنى يحتاج الى مقارعة الفكر في استخراج خبيئه ثم دعنى واياه . فقال له المفضل : أتعرف بيتا أوله أعرابى في شملته ، هاب من نومته كأنما صدر عن ركب جرى في أجفانهم الوسن فركد ، يستفزهم بعنجهية البدو وتعجرف الشدو ، وآخره مدنى رقيق قد غذى بماء المقيق ؟ قال : لا أعرفه قال : هو بيت

جميل بن معمر :

ألا أيها الركب النيام ألا هبو ٠

ثم ادركته رقة المشوق فقال :

أسائلكم هل يقتل الرجل الحب ٠

قال : صدقت ، فهل تعرف أنت الان بيتا أوله اكثم بن صيفى فى أصالة الرأى ونبل المظة ، وآخره ابقراط فى معرفته بالداء والدواء ؟

قال المفضل : هولت على فليت شعرى بأى مهر تفترع عروس هذا الخدر ؟ قال :

باصفائك وانصافك (١) ، وهو قول الحسن بن هانىء ٠

دع عنك لومى فان اللوم اغراء * وداونى بالتى كانت هى الداء (٢)

وواضح أن القياس هنا ليس سليما لان الغرض هنا فى حقيقته ليس وراء معنى جيد كما ذكر ابن قتيبة وانما هو وراء حل لما يشبه الالغاز والاحاجى ٠

ويرى أبن قتيبة ان من دواعى حفظ الشعر واختياره انه متى اتفق الشاعران فى أصل المعنى وزاد أحدهما على الآخر عرف للمتأخر فضله فى تلك الزيادة فقد " كان الناس يستجيدون للاعشى قوله :

وكأس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها ٠

حتى قال ابو نواس :

---

(١) فى هامش الشعر والشعراء ج ١ ص ٧٤ " بانصافك وانصاتك " عن مخطوطتى برلين وباريس ٠

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٠ ج ١ : ص ٧٣ ـ ٧٤

دع عنك لومى فان اللوم اغراء * وداونى بالتى كانت هى الداء .

فسلخه وزاد فيه معنى آخر ، اجتمع له به الحسن فى صدره وعجزه ، فللأعشى فضل السبق اليه ولأبى نواس فضل الزيادة فيه ."(١)

كما يرى أن من أسباب اختيار الشعر وحفظه " الاصابة فى التشبيه كقول القائل فى وصف القمر :

بدا أن بنا وابن الليالى كأنه * حسام جلت عنه القيون صقيل

فمازلت أفنى كل يوم شبابه * الى أن أتتك العيس وهوضئيل (٢)

وقد تحدث ابن قتيبة عن حسن التشبيه فى الشعر فى كتاب " عيون الاخبار " وكان موفقا فى اختياراته الى حد ما لتلك التشبيهات مبينا أحيانا وجه الشبه بين ركنى التشبيه ومن ذلك قول الزبير الأسدى فى الثريا :

" وقد لاح فى الفور الثريا كأنما * به رايتبيضاء تخفق للطعن

شبه الثريا حين تدلت للمغيب براية بيضاء خفقت للطعن ."(٣)

كما كان لاطلاعه الواسع على الثقافة الادبية ومعرفته بأساليب الكلام العربى وطرقه ومناهجه ذا قدرة على الكشف عما ينفرد به بعض التشبيهات

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء جـ ١ : ص ٧٣
(٢) المصدر السابق : جـ ١ ص : ٨٤
(٣) ابن قتيبة : عيون الاخبار جـ ٢ : ص ١٨٦

من أوجـه الحسن او القبح فقد قال أعرابى فى أمرأة:

قامت تصدى له عمدا لتقتلـــه * فلم ير الناس وجدا مثل ما وجدا ٠

بجيد آدم لم تعقد قلائـــده * وناهد مثل قلب الظبى مانهدا ٠

فقال ابن قتيبه : " شبه ثديها فى نهوده بقلب الظبى فى صلابته ، ولا نعلم أحدا شبه الثدى بقلب الظبى غيره ."(١)

وقد أخذ ابن قتيبة فى تعداد دواعى حفظ الشعر باعتبار ذلك من علامات جودته فقال : " وقد يحفظ ويختار على خفة الروى كقول الشاعر:

يا تملـــك يا تملـــــى * صلينى وذرى عذلـــــى

ذرينى وسلاحـــى ثـــ * ـم شد الكف بالغـــزل

ونبلى وقناها كمـــــ * ـراقيب قطا طحـــــل

ومنى نظرة بعـــــدى * ومـنى نظرة قبلـــــى

وثوباى جديـــــدان * وأرخى شرك النعـــل

واما مت يا تملـــــى * فكونى حـــرة مثلـــى (٢)

وكقول الآخـر :

ولو أرسلـت من حبـــ * ـك مبهوتا من الصـــين

لوافيتك قبل الصبـــ * ـح أو حين تصلـــين (٣)

وابن قتيبة لم يكن حرا فى هذا الاختيار لانه بنى اختياره على اختيار الاصمعى

---

(١) ابن قتيبة : عيون الاخبار جـ ٢ ص ١٨٨

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٠ جـ ١ : ص ٨٥ ٠ الابيات للفنـــد الزمانى ٠

(٣) المصدر السابق جـ ١ ص ٨٦٠

دون أن يذكر تعليلا لذلك . حيث علق على الابيات السابقة بقولـــه :
" وهذا الشعر مما اختاره الأصمعي بخفة روية ." (١) وعلق علـــى
البيتين الاخيرين بقوله : " وكان يتمثل بهذا كثيرا ." (٢) يعني الاصمعي .
فنحن نوافق ابن قتيبة في أن الشعر يختار ويحفظ على خفـة الـــروى
ولكن ليست تلك الخفة التي تفقد الشعر رونقه وجماله اذ أن الروى لايمثـل
الا جزءا يسيرا من النص الشعري بحيث لا نستطيع أن نحكم على الشعـر
بمجرد النظر الى خفة الروى ، كمـا أن اختيار ابن قتيبة لتلك الأبيـات
التي استشهد بها لهذا النوع من الشعر لم يكن سليما ، فقافيتها بـاردة
فاترة وشعرها ركيك مستهجن لم ترق لمن له أدنى معرفة بصناعة الشعـــر .(٣)

وهناك نوع آخـر من اختياراته مبني على ندرة الشعر وقلته حيـــث
يقول : " وقد يختار ويحفظ لان قائله لم يقل غيره . أو لان شعـــره

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . جـ ١ : ص ٨٥
(٢) المصدر السابق : جـ ١ : ص ٨٦
(٣) انتقد صاحب الصناعين أبيات الفـند الزماني التي استشهد بها
ابن قتيبة للشعر المختار على خفة الروى وهي قوله :

يا تملك يا تملـــــى * صليني وذري عذلـي

فقد اورد ابو هلال البيتين الاولين من تلك الابيات مع شيء من التحريف
في الالفاظ ووصفها بأنها من الشعر البارد المردود المذموم ." انظـر
الصناعين : ص ٥٩ ."
اما البيتين الاخيرين وهي قول الشاعر :

ولو ارسلـت اكتبـ * ـك مبهوتـا مـن الصيـن
لو افتيك قبل الصبـ * ـح أو حين تصلـــين

فقد قال ابو هلال عنهما عن القتبي أن الاصمعي كان يستحسنهمـــا
" وهما على ماترا عما من دناءة اللفظ وخساسته وخلوقة المعرض وقباحته "
العسكري . الصناعين : ص ٤ .

قليل عزيز كقول عبد اللهبن أبى سلول المنافق :

متى ما يكن مولاك خصمك لا تزل * تذل ويعلوك الذين تصارع

وهل ينهض الباز بغير جناحه * وان قصى يوما ريشه فهو واقع (١)

وهذا المقياس لا يسلم به لانه لا يعتمد أساسا فنيا ، لان من كان شعره نادرا وقليلا لا يمكن أن يرقى بحال من الاحوال الى درجة الشعر الحسن الكثير الذى ينتشر بين الناس ويحتل مكانة فى نفوسهم . ولقد اضطره هذا النوع من الاختيار الى أن يورد اشعارا غثة مستكرهة بحجه أنه لم يسمع لقائلها غيرها ، ثم لا يسمه الامر بعد ذلك الا أن يعترف بأنها ليست من الشعر المختار ، كما فعل ذلك مع هشام بن عقبة أحد اخوة ذى الرمة حيث اورد له قصيدة من اثنى عشر بيتا (٢)

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . جـ ١ ص ٨٦

(٢) ابيات هشام هى قوله :

حتى اذا أمعروا صفقى مباءتهم * وجرد الخطب أثباج الجراثيم

وأبـ ذو المحضر البادى ابابته * وقوضت نية أطناب تخييم

الوى الجمال هراميل المفاء بها * والمناكب ريع غير مجلوم

تصطك اعناقها والبق تقدعها * حتى أناخوا فزموا كل مزموم

من كل أكلف أوأجأى تئط له * أنساع تابوت جوف غير مهضوم

عركرك مهجر الضؤبان أومه * روض القذاف ربيعا أى تأويم

ما مس مذلهن البهمى تبقلها * قينيه فى مرتع أرماث ترميم

حتى رمى أمهات القرد خابطها * بالناصلات أنا بيشا بتسهيم

واستن فوق الحذارى القلقان كما * شكل الشنوف يحاكى بالهيانيم

بعد المصيف الى خبراء معقلة * حتى يموت سمال الصيف بالعوم

من الفراش المقضى عاش فى رنق * رخف السحايات ولى غير مطعوم

كأن أجسادها الاظفار جامدة * فى قنف الصقر الآنى الشراذيم

(ابن قتيبة : الشعر والشعراء . جـ ١ ص ٥٢٨ ـ ٥٣٠).

ثم علق عليها بقوله : " ولم أذكر هذا الشعر لانه عندى مختـــار ولكن ذكرته لانى لم اسمع لهشام بشعر غيره ."(١)

ويمضى ابن قتيبة فى ذكر بعض الوجوه التى يختار عليها الشعر ويحفـظ حيث يقول : " وقد يختار ويحفظ لانه غريب فى معناه كقول القائـــل فى الفـتى :

ليس الفتى بفتى لا يستضاء به * ولا يكون له فى الارض آثـــار(٢)

ويقصد بالمعنى الغريب : الطريف المبتدع الذى ابتدعه قائلـــه والغرابـة فـــــــــــــــــــــــى المعنى لا تكون حسنـة مستعذبـة الا اذا كان المعنى جيدا يدل علـــى مقصـد الشاعر . اما اذا كان المعنى الغريب بعيد التناول لايصـل اليـه الانسان الا بطول الكـد والغوص فهذا هو المردود المرذول . "ولهذا قيل أجود الكلام السهل الممتنع."(٣) الذى اذا سمعه الانسان العادى خيل اليه انه يستطيع أن يصنع مثله ولكنه عند القيام بالمحاولـة يدرك مدى قصوره وعجـزه عن الاتيان بمثله .

ورأى أن من دواعى حفظ الشعر واختياره ايضا ما الح اليه مـــن أن أجود الهجاء ما سجل صفات المهجو فى عبارة موجزة ليكون ذلـــك

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . جـ ١ : ص ٥٣٠ ـ ٥٣١
(٢) المصدر السابق . جـ ١ : ص ٨٦ .
(٣) العسكرى . الصناعـين . ص ٦١ .

ادعى الى انتشاره وذيوعه بين الناس بسرعة (١) . اذ الشاعر الهاجى يريد أن يقرب معناه ، ويسهل لفظه حتى يكون ذلك أسرع الى القلب وألصق بالنفس وعلى هذا رأوا أن قصر الهجاء أجود . " قيل لعقيل بن علفة : مالك لا تطيل الهجاء ؟ .

فقال : يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق (٢) . " وهذا النص يدل على أن الهجاء اذا سجل صفات المهجو فى ابيات موجزة كانت الاطالة بعد ذلك عُثة لا فائدة وراءها . وقد سئل " ابو المهوش الاسدى لم لا تطيل الهجاء ؟ فقال : لم أجد المثل السائر الا بيتا واحدا (٣) " فرأى أن قصر الهجاء من اسباب انتشاره وذيوعه بين الناس .

وابن قتيبه لم يكن الناقد الاول الذى الح الى تلك الناحية فى قصر الهجاء ، فقد سبقه الى الحديث عنها الجاحظ ، حتى أن ابن قتيبة لم يأت بشىء جديد فى ذلك بل نقل النصين السابقين من كتاب البيان والتبيين (٤) دون أن يشير الى أنه نقلهما عن الجاحظ او غيره .

هذا وقد قدم ابن قتيبة فى ترجمته للشعراء كثيرا من اختياراته للشعر الجيد المتصلة بطبيعة الشعر الا أنه حاول أن يخضع تلك الاختيارات

---

(١) كان اكثر الشعراء يرون ان قصر الهجاء أجود الا جريرا فانه قد خالفهم فى ذلك ، اذ مال الى الايجاز فى فن المديح والاطالة فى الهجاء فقال لبنيه : " اذا ما دخلتم فلا تطيلوا المادحه واذا هجوتم فخالفوا . " ابن رشيق . العمده . جـ ٢ ص ١٧٢ .

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . جـ ١ ص ٧٦

(٣) المصدر السابق . جـ ١ ص ٧٦

(٤) انظر الجاحظ . البيان والتبيين . جـ ١ : ص . ٢٣ .

تبعا لاتجاهه وميوله .

وقد يرد ابن قتيبة شعرا لشاعر ما على اساس خلقي بصرف النظر عن جودة هذا الشعر أو رداءته . فقد عاب على امرئ القيس تصريحه بالزنا والدبيب الى حرم الناس لان الشعراء كانت تتوقى ذلك وان فعلته وهو في ذلك انما يؤمن بأن للشعر غاية خلقية . وقد حرص على هذه الغاية في كتابه « عيون الاخبار » حيث يقول عن الكتب الادبية التي ينتظمها هذا الكتاب . " جمعت لك منها ما جمعت في هذا الكتاب لتأخذ نفسك بأحسنها وتقومها بثقافها وتخلصها من مساوئ الاخلاق كما تخلص الفضة البيضاء من خبثها ، وتروضها على الأخذ بما فيها من سنة حسنة وسيرة قويمة وأدب كريم وخلق عظيم . "(١)

وقد أفرد ابن قتيبة فصلا مصغرا في كتاب العلم والبيان من عيون الاخبار تحت عنوان : " الابيات التي لا مثل لها . "(٢) وكان اكثر تلك الابيات يتحدث عن اكرام النفس ، والاستعفاف والاقدام ، والحث على الصبر . وعن الجود وحسن الجوار . وترك الالحاح ، وفي انفاق المال ، والتوكل على الله تعالى وغير ذلك من الامور التي تساعد على تقويم التربية الاسلامية .

---

(١) ابن قتيبة . عيون الاخبار . جـ ١ . المقدمة . ص ك
(٢) المصدر السابق . جـ ٢ . ص ١٩١ وما بعدها .

كما أن من الشعر المستجاد عنده ما حوى فكرة صادقة[1] ودعى الى مكارم الاخلاق واصلاح المجتمع وتقويمه ، وما اشتمل على الحكمة والمثل أو وصف الخيل وهو كثير في اختياراته . واعتمد الاجادة ايضا اذا احتوى الشعر على كلمات غريبة يحتاجها اللغويون شاهدا لغويا ، فقد استجاد أبيات ابى ذؤيب الهذلى[2] :

ما حمل البختى عام غياره * عليه الوسوق برها وشعيرها
أتى قرية كانت كثيرا طعامها * كرفغ التراب كل شيء يميرها

لانه رأى أن الاصمعى استخرج منها كلمة " رفغ " الدالة على كثرة الترب في الارض . بل أن ابن قتيبة قد جاء باختيارات لا تتصل بطبيعة الشعر وانما بقائله حيث يقول : " وقد يختار ويحفظ ايضا لنبل قائله كقول المهدى :

تفاحة من عند تفاحة * جاءت فماذا صنعت بالفؤاد .
والله ما ادرى أ أبصرتها * يقظان أم أبصرتها فى الرقاد[3]

فقد جعل ابن قتيبه للشخصية الشريفة تأثيرا فى الاختيار ولذلك فان من الصعب جدا أن نوفق بين هذا الاختيار وبين رداءة الشعر اذا اتى من الشريف . فلقد تنكر ابن قتيبة لبعض ما بنى من أسس نقدية وضعها

---

(١) انظر فى ذلك الفصل السابق .
(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . جـ ٢ : ص ٦٥٥ .
(٣) المصدر السابق : جـ ١ : ص ٨٦ ـ ٨٧ .

فى صدر كتابه حينما وقع فى هذا النوع من الاختيار لانه قد التزم العدل قبل ذلك حيث يقول : " فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له وأثنينا به عليه ، ولم يضمه عندنا تأخر قائله أو فاعله ، ولا حداثة سنه . كما أن الردىء اذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه ." (١) ولا شك أن مثل هذا الاختيار يدل على خطأ فى الموقف النقدى لابن قتيبه الذى عول على قائل الشعر بدلا من أن يعول على الشعر نفسه . فهل نترك الشعر الجيد اذا أتانا من الوضيع مثلا أو نقدم عليه الشعر الردىء اذا جاءنا من الشريف ؟ . هذا ما يجافيه الذوق السليم وينتقده كل من له علاقة بصناعة الشعر .

وعلينا أن نعلم أن تلك الاسباب والعوامل التى اختار ابن قتيبة عليها الشعر غير عامل الجودة فى الالفاظ والمعانى أسباب ترجع اما الى تلك النزعة التأثريه السريعة أو الى خطأ فى الموقف النقدى . أو الى فساد فى الذوق ، لأنها فقدت العنصر الموضوعى الذى ينبنى عليه الاستحسان والحفظ والاختيار ، وهو وان لم يهمل الذوق فى اختياراته الا اننا لم نظفر منه بذلك الذوق السليم المدرب العارف بأسباب الجودة ، لانه اراد أن يختار الشعر تبعا لميوله الخاصه دون مراعاة

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : جـ ١ : ص ٦٣

منه فى اشراك الآخرين معه فى الاختيار .

على أن ابن قتيبه وان كان كثيراً ما يصدر احكامه النقدية على أساس مبادئ نقدية سليمة فهو كثيرا ما يبنى اختياراته على أساس عمود الشعر ، وان كان هذا لا يعنى أنه ناقد اتباعى للقدماء بقدر ما هو ايمان منه بالقيمة الفنية لتلك الخصال . الا أن اكثر ما جاء به فى استجادته للشعر كان قاصرا عن جمالية الفنى لانه لم يستوعب كل أنواع الشعر الجيد الذى لا تربطه روابط ولا تحده رسوم . ولكنها عقلية ابن قتيبة العلمية البعيدة عن روح النقد الأدبى التى استهانت بأبيات جرير (١) الغزلية اذ لم تجد وراءها فائدة وهى زاخرة بالمعانى حافلة بأرق أنواع الشعور والتى استجادت قول الشاعر :

يا تملك يا تملى * صلينى وذرى عذلى

فجعلتها من الشعر الجيد الذى يحفظ ويختار على خفة الروى عليه ما فيها من الفاظ مستهجنة وتركيب ركيك وفتور فى رويها .

من ذلك يبدو أن نقد ابن قتيبة فيه شىء من السطحية ، فهو لم يغص فى ما هية الشعر . كما يذهب أحيانا الى استنباطات بعيدة

---

(١) انظر ابيات جرير فى قضية اللفظ والمعنى ، فى حديثنا عن الضرب الثانى من اضرب الشعر .

عن مفهوم الشعر (١) ، ويحكم على الشعراء ويقوم شعرهم بناء على ما اشتهر من أمرهم .

هذا واذا كان ابن قتيبه قد بنى احيانا استحسانه للشعر على استجادة من سبقه فان له مواقف انتقاد على العلماء فى استحسانهم لبعض الشعر او العكس من ذلك ، وان كانت تلك المواقف ضئيلة جدا كما فعل فى قول النابغة :

خطاطيف حجن فى حبال متينة * تمد بها أيد اليك نوازع

" قال أبو محمد : رأيت قوما يستجيدونه ، وهو عندى غير جيد فى المعنى ولا التشبيه (٢) ." لانه قد شبه النعمان فى قدرته وسطوته بخطاطيف عقف يمد بها ، وشبه النابغة نفسه بدلو تمد بتلك الخطاطيف . وقد قام ابن قتيبة بتحليل بعض المعانى التى استقبحها العلماء مبينا وجه الحسن فيها (٣) . فقد عابوا على أمرئ القيس قوله :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع * فألهيتها عن ذى تمائم محول

اذا ما بكى من خلفها انحرفتله * بشق وتحتى شقها لم يحول

---

(١) من ذلك شرحه لقول امرئ القيس :

يفكهنا سمد وينعم بالنا * ويغدو علينا بالجفان وبالجزره .
ونعرف فيه من أبيه شمائلا * ومن خاله ومن يزيد ومن حجر

فقد علق على هذين البيتين بقوله : " وهذا الشعر يدل على أن العرب كانت فى الجاهلية ترى الولد للفراش ." (ابن قتيبة الشعر والشعراء . جـ ١ : ص ١١٧ .) ولا شك أن هذا استنباط بعيد لا يدل عليه معنى البيتين .

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . جـ ١ : ص ١٧١

(٣) المصدر السابق : جـ ١ : ص ١٣٥ .

فرأوا بذلك أنه زير نساء وأنه قد تعهر وفجر فى هذا الشعر (١). وقد شرح ابن قتيبة البيتين شرحا جيدا أقرب الى الصحة ولم ير فيهما عيبا لان المرض والحبلى لا تزيد أن الرجال ولا ترغبان فى النكاح فاذا أصابهما وألهاهما كان لغيرهما أشد اصباء والهاء (٢). وغنى عن البيان أنه فى هذا تنكر للمقياس الخلقى الذى دعا اليه كما سبق، فرأى أن فحش المعنى فى نفسه لا يزيل جودة الشعر فيه. كما عابوا على امرئ القيس ايضا قوله (٣):

أغرك منى أن حبك قاتلى * وأنك مهما تأمرى القلب يفعل

فقالوا : اذا لم يقررها هذه الحال منه فما الذى يقررها (٤). وقد شرح ابن قتيبه البيت فى معرض الرد على أولئك الذين عابوه فقال : " انه لم يرد بقوله " حبك قاتلى " القتل بعينه وانما أراد به أنعقد بسرح بى فكأنه قد قتلنى . وهذا كما يقول القائل : قتلتنى المرأة بدلها وبعينها ، وقتلنى فلان بكلامه (٥) "

على أن المتأمل فى البيت يرى أن امرأ القيس انما اراد من محبوبته أن تخلص لهواه وتستجيب له كما استجاب هو لها ، وهذا المعنى لم يفطن له ابن قتيبة.

---

(١) انظر : الباقلانى : اعجاز القرآن : ص ١٦٦ ــ ١٦٧ ، والمرزبانى : الموشح : ص ٣٤.
(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . جـ ١ : ص ١٣٥.
(٣) المصدر السابق : جـ ١ : ١٣٥.
(٤) انظر : (المرزبانى : الموشح : ص ٣٢) و (الباقلانى : اعجاز القرآن : ص ١٦٨) و (العسكرى : الصناعين : ص ٧٣ ــ ٧٤).
(٥) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . جـ ١ : ص ١٣٥

الفصل الخامس

المتكلف والمطبوع

من الظواهر الادبية التي تطرق لها ابن قتيبة معالجته لنظرية المتكلف والمطبوع من الشعر، فقد ذهب أكثر النقاد العرب الى أن الشعر صناعة تشبه سائر الصناعات ، وهذا المفهوم بدأه ابن سلام في كتاب " طبقات فحول الشعراء " وسار على نهجه من أتى بعده من النقاد .

فالدربة في الصناعة امر ضروري في كل الحالات ، اذ لا يستطيع المشتغل بالنقش أو بالتصوير مثلا أن يبرز فيهما مالم يمهد لنفسه بالدربه والمران حتى يصل الى درجة من الاتقان والاجادة في صنعته ، وكذلك الحال بالنسبة لاى فن من الفنون فانه لا يجيده الا المتخصصون الذين تكونت عندهم الدربة والممارسة في ذلك الفن ، وهذا لا يمنع من وجود تفاوت يختلف قربا وبعدا بين اصحاب الفن الواحد ، لانهم لايكونون بحال من الأحوال على درجة واحدة في الاجادة والاتقان ، ولما كان الشعر أحد هذه الصناعات فطبعي ألا يتقنه الا متدربون مارسوا الأدب وتكونت عندهم ثقافة أدبية واسعة اكسبتهم ملكة شعرية متدفقة . فالشاعر صانع لشعره يجوده ويقومه فيستبدل كلمة بغيرها أو حرفا بآخر أجود منه حتى تستقيم عنده القصيدة كاملة مستوية ، وقد وجدت هذه الصناعة الشعرية منذ العصر الجاهلي ، فقد تكونت مدرسة الصنعة والنظر في الشعر والوقوف عند كل بيت قاله الشاعر على يد أوس بن حجر بن عتاب فحل مضر ، وكان من ابرز شعرائها زهير بن ابي سلمى والحطيئة . فالحطيئة يرى أن " خير الشعر الحولي المحكك "(١) وقد

(١) الجاحظ . البيان والتبيين . جـ ٢ : ص ١٣

فسر سويد بن كراع المكلى الصنعة فى الشعر والقيام عليه أحسن تفسير فى قوله (١) :

أبيت بأبواب القوافى كأنما * أصادى بها سربا من الوحش نزعا
أكالئها حتى أعرس بعدما * يكون سحيرا أو بعيد فأهجعا
اذا خفت أن تروى على ردتها * وراء التراقى خشية أن تطلعا
وجشمنى خوف ابن عفان ردها * فثقفتها حولا جريدا ومربعا (٢)
وقد كان فى نفسى عليها زيادة * فلم أر الا أن أطيع وأسمعا

ولما كان الشعر صناعة فلابد من تعلم ودراسته على أيدى الشعراء المشهورين ، وكثير من الشعراء المبرزين تعلموا الشعر عمن لازموا مدة طويلة وأخذوا الشعر عنهم " فقد كان كثير اخذ الشعر عن جميل وأخذه جميل عن هدبة بن خشرم وأخذه هدبة عن بشر بن ابى خازم وكان الحطيئة قد أخذ علم الشعر عن زهير وأخذه زهير عن اوس بن حجر ، وكذلك جميع شعراء العرب المجيدين المشهورين . " (٣)

وقد اشتهرت مدرسة أوس بن حجر وجماعته بطول الروية والأناة حتى كانت بعض قصائدهم تمكث حولا كاملا ينقحونها ويفتشونها ويعيدون فيها النظر حتى لا تكون اشعارهم عرضة لنقد يمكن ان ينال من قيمتها الفنية . ولعل ذلك أهم الاسباب التى جعلتهم يحبذون التأنى فى اظهار قصائدهم .

---

(١) ابن قتيبه . الشعر والشعراء ج١ : ص ٧٨ .
(٢) قوله . " ابن عفان " هو الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، فقد كان الشاعر هجا قومه ، فوصل خبره عثمان فأخذ عليه العهود الا يعود الى هجائهم .
(٣) القرطاجنى : منهج البلغاء وسراج الادباء . " تونس ١٩٦٦ " : ص ٢٧

وقد رأى الجاحظ ان زهير بن ابى سلمى انما كان ينقح شعره " اشفاقا على أدبه واحرازا لما خوله الله من نعمته "[١] الا أنه بعد ذلك غير فكرته هذه وأخذ يعلل لهذه النزعة بأن من دوافعها المدح والتكسب بالشعر، " ان من تكسب بشعره والتمس به صلات الاشراف والقادة ، وجوائز الملوك والسادة فى قصائد السماطين وبالطوال التى تنشد يوم الحفل لم يجد بدا من صنيع زهير والحطيئة وأمثالهما "[٢] وفكرته الأولى على ما يبدو أرجح لان كثيرين من الشعراء مدحوا بدون دافع الرجاء وانما اعظاما لمن مدحوهم واعجابا بهم ، فامرؤ القيس مدح بنى تميم رهط المعلى بقوله :

أقر حشا امرئ القيس بن حجر * بنو تيم مصابيح الظلام[٣]

وهو لا يريد ان يلتمس منهم صلة مادية لانه ملك وابن ملك ينفق المال لذوى السؤال . فليس المدح دافعا حتميا لاتقان الشعر والاجادة فيه ، ولم يكن القدماء من الشعراء هم الذين كانوا يمثلون هذه الصنعة المحمودة فى الشعر بل كان هذا ايضا دأب المحدثين من الشعراء . وقد وضع أبو هلال العسكرى نموذجا يسير عليه الشاعر الذى يريد أن يجود فى صنعته حيث قال : " فاذا عملت القصيدة فهذبها ونقحها ، بالقاء ما غث من أبياتها ، ورث ورذل ، والاقتصار على ما حسن وفخم ، بابدال حرف منها بآخر أجود منه حتى تستوى أجزاؤها ، وتتضارع هواديها وأعجازها ، ..... وقد كان

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ـ جـ ٢ : ص ٨
(٢) المصدر السابق : جـ ٢ : ص ١٤
(٣) ابن رشيق : العمدة ـ ج ١ : ص ٨٠ وانظر قصة مدحه مفصلة فى ذلك .

هذا دأب جماعة من حذاق الشعر من المحدثين والقدماء ."(١)

والصنعة ينبغي فيها الا تتعدى قدرة الشاعر الى حد الافـــراط فيها ، فقد كان الى جانب الصنعة المحمودة في الشعر صنعة أخـــرى أفرطت في تعقيده ، ومالتبه الى الاغراق في الاستعارات واستجلاب الالفاظ قسرا ، وقد عيبت هذه الصنعة وسقط شعر متعلمها في أكثرمعيـــب " صالح بن عبد القدوس وغيره ممن سلك هذا السبيل ، .. لأن لكـــل شيء حداً اذا تجاوزه المتجاوز سمي مفرطا ."(٢)

وكانت بداية ذم الصنعة على يـد أبي تمام الذي أغرق في الاستعارات فاتخذ لنفسه مذهبا جديدا في الشعر العربي ، فأخذ أولئك الذين يميلـون الى هذه الصنعة " يفضلون كل ما قاله أبو تمام ."(٣)

وقد تطور المتعمل في شعر المحدثين لانهم لما " رأوا استغراب الناس للبديع على افتنانهم فيه أولعوا بتورده ، اظهارا للاقتدار وذهابا الـــى الاغراب ."(٤)

وعلى هذا الاساس نشأ التفريق بين نوعين من الشعراء : شعراء الروية ـ الذين قوموا شعرهم ، وأعادوا فيه النظر ، وأخرجوه مستويا محكما ، ورأوا ـ " أن أحسن الشعر ما كان اكثر صنعة وألطف تعملا ، وأن يتخير الالفـــاظ الرشيقة للمعاني البديعة والقوافي الواقعة ."(٥)

---

(١) العسكري . الصناعين . ص ١٣٩ ـ ١٤١
(٢) الآمدي . الموازنة بين الطائيين . (مصر ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦١م) جـ١ ص ٢٤٣ . (٣) المصدر السابق . جـ ١ : ص ٤٩٦ .
(٤) المرزوقي . الحماسه . (مصر ١٣٧١هـ / ١٩٥١م) جـ١ : ص ٢٣ .
(٥) الباقلاني . اعجـاز القرآن . ص ١١٥

الذين

وشعراء التعمل والاتيان بالأشياء قسرا يختاروا ما غض معناه وغرب لفظه واعرضوا عن "ما سهل على اللسان وسبق الى البيان ." (١) ومن هنا نشأ التفريق بين شعر الطبع وشعر الصنعة ، وأدرك النقاد أبعاد هذين المذهبين ، وقد بين المرزوقي الفرق بينهما فقال : " فمتى رفض التكلف والتعمل وخلى الطبع المهذب بالرواية ، المدرب في الدراسة لاختياره فاسترسل غير محمول عليه ولا ممنوع مما يميل اليه ، أدى من لطافة المعنى ، وحلاوة اللفظ ما يكون صفوا بلا كدر ، وعفوا بلا جهد ، فذلك هو الذي يسمى " المطبوع " . (٢) فالمطبوع عنده ما اجتمع فيه الطبع والصنعة وهذا هو الوضع المثالي للشعر المختار ، أما اذا كانت هناك صنعة بلا طبع فهذا هو التكلف الرديء ، واذا كان هناك طبع بلا صنعة فهو الكلام الذي لا يظهر فيه أثر المعرفة . " ومتى جعل زمام الاختيار بيد التعمل والتكلف عاد الطبع مستخدما متملكا ، وأقبلت الافكار تتحمله أثقالها وترددة في قبول ما يؤديه اليها ، مطالبة له بالاغراب في الصنعة وتجاوز المألوف الى البدعة فجاء مؤداه وأثر التكلف يلوح على صفحاته وذلك هو " المصنوع " . (٣) ومن هذا المنطلق نرى الشعراء عند ابن قتيبة شاعرين ، شاعرا مطبوعا ، وآخر متكلفا . وعلى هذا الاساس في التقسيم يصبح عنده شعر مطبوع ، وشعر متكلف وهو الذي ينتقي ويختار فالشاعر المتكلف عنده ، ما اجتمع له الطبع والصنعة على السواء و " هو الذي قوم شعره بالثقاف ، ونقحه بطول التفتيش ، وأعاد فيه النظر بعد

---

(١) الباقلاني : اعجاز القرآن : ص ١١٤
(٢) المرزوقي : الحماسة . ج ١ : ص ١٢
(٣) المصدر السابق : ج ١ : ص ١٣

النظـر كزهير والحطيئـة ... وكان زهيـر يسمى كبر قصائده الحوليات"(١)

فقد استخدم التكلف فيما يقابل الطبع ، فالتكلف عنده بمعنـى الصنعة ، وقد فهم بعض الدارسين المحدثين ان ابن قتيبة قد خلط بين معنى الصنعة والتكلف : ، منهم الدكتور عز الدين اسماعيل الذي يقول : وقد يخلط ابن قتيبة بين معنى الصنعة والتكلف "(٢) وابن قتيبه لم يخلط بين معنى الصنعة والتكلف كما فهم هؤلاء الدارسون فهو لم يعب على زهير والحطيئة وأشباههما قيامهم على الشعر وتنقيحهم اياه ، لأنه لم يسترذل شعرهم، ولا نظر اليهم على أنهم أقل مرتبة من الشعراء المطبوعين ، فالمتكلف عنده معناه الصنعة المحمودة في الشعر ، وهذا ما عناه ابن قتيبة في قوله السابق (٣) .

أما المتكلف الذي يأتي بالاشياء قسرا فهو المذموم المستكره الذي تتبين عليه أثر التعمل الردئ وهو " ما نزل بصاحبه من طول التفكر وشدة المناء ، ورشح الجبين ، وكثرة الضرورات وحذف ما بالمعاني حاجة اليه ، وزيادة ما بالمعاني غنى عنه ، كقول الفرزدق في عمر بن هبيرة لبعض الخلفاء .

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، جـ ١ : ص ٧٨ .

(٢) الاسس الجمالية في النقد العربي " القاهرة ١٩٦٨ م " ص ١٤٧ ومن الذين فهموا هذا الفهم ، د . احمد احمد بدوي : اسس النقد الادبي عند العرب : ٤٨٤ وما بعدها ، و د . محمد مندور : النقد المنهجي (القاهرة ١٩٤٨ م) ، وطه احمد ابراهيم : تاريخ النقد العربي ص ١٢٦ ـ ١٢٧ .

(٣) استعمل الجاحظ لفظ التكلف بمعنى الصنعة المحمودة في الشعر وانتقد الاصمعي الذي عاب شعر الحطيئة " حين وجده كله متخيرا مستويا لمكان الصنعة والتكلف والقيام عليه . " (الجاحظ : البيان والتبيين جـ ١ ص ٢٢٩ "

أوليت العراق ورافديـــــه * فزاريا أحذ يد القميـص

يريد : أوليتها خفيف اليد يعنى فى الخيانه فاضطرته القافية الـــى ذكر القميص (ورافداه : دجلة والفرات)[1] ، وهذا هو التعمل الـــردىء البعيد عن الصنعة المحمودة ، لانه لم يأت عن اسطح وسهولة ، ثم هـــــو لم يكتف بهذا القدر من وصفه للشعر المرذول وانما يذكر سمة أخرى لـــــه "بأن ترى البيت فيه مقرونا بغير جاره . ومضموما الى غير لفقه ، ولذلـــك قال عمرو بن لجإ لبعض الشعراء : أنا أشعر منك . قال : ولم ذلـــك ؟ فقال : لانى أقول البيت وأخاه ، ولانك تقول البيت وابن عمه "[2].

فالعناية بمقارنة الابيات القريبة المعنى بعضها الى بعض كان من اهتمام كثير من النقاد ، فدعوا الى مقارنة البيت بشبهه ، وأنكروا ابيات القصيـــدة التى تفقد الوحـــدة والترابط ، وغير ذلك من وجوه الصنعة ، ومثـــــل هذا يعنى أن الصنعة ضرورية لجودة الشعر ، ومثل هذا لا يكون الا بطـــول النظر وجودة التنقيـح .

ومما تقدم نجد أن ابن قتيبة استخدم لفظة " التكلف " فى معنـــيين ، فاقترانها بالشاعر جعل لها مدلولا خاصا اذ استخدمها بمعنى الصنعـــــة وطول الروية والأناة ، وهذا اتجاه مختار فى الشعر ، وقد مثل لذلك بشعـــر

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . جـ ١ : ص ٨٨ . وفى ديوان الفرزدق " أطعمت العراق ... الخ "
" ديوان الفرزدق . " بيروت ١٣٨٠ ـ ١٩٦٠م " جـ ١ : ص ٣٨٩

(٢) المصدر السابق : جـ ١ : ص ٩٠

زهـير والحطيئـة القائم على الصناعة وطول النظـر • وعندما اقترنـت بالشعر أعطت معنى آخـر حيث وصف الشعر المتكلف بأنه ردىء الصنعـة فقد تكلف الشاعر فيه مكابدة وعناء ، فخرج به من سهل الكلام المألـوف الى التعقيد المرذول • وقد ضرب مثالا على رداءة الصنعة بقـول الخليل بن احمـد :

ان الخليط تصـدع * فطر بدائك أوقـع

لولا جوار حسـان * حور المدامع أربـع

أم البنين وأسمـا * ء والرباب وسـوزع

لقلت للراحل ارحـل ** اذا بدا لك .... أودع. (١)

فهو هنا يشرح المتكلف بطريقة تبين أنه يقصد بالكلمة المعنى الذى عرفت به فى البلاغة وهو التعمل الردىء اذ يقول : " وهذا الشعر بين التكلف ردىء الصنعة • " (٢) اذ المقصود من الشعر الابانه ، وتحريك النفوس ، ومن هنا لا بد أن يتضح فيه حسن الصنعة ليحرك السامعين • وأن يبتعـد عن اجتلاب الالفاظ الفشة المستكرهة • أما التأنق فى طلب العبارات لغاية الابداع فهذا مالا ينكره الذوق لان حسن التأليف يقع من النفس أحسن موقع •

أما الشاعر المطبوع : فهو الذى ينظم على السليقة مع قدرته على الارتجـال وسرعة الخاطر التى قد تختلف من شاعر الى آخـر بحسب الدوافع والبـواعـث التى تحفز للنظم " فقد يكون من الناس من شعره فى البديهة أحسن منـه

---

(١) ابن قتيبة • الشعر والشعراء : جـ ١ : ص ٧٠

(٢) المصدر السابق : جـ ١ : ص ٧٠ •

فى الروية وبالعكس ." (١) فالمطبوع لا يتكلف الشعر تكلفا يبعده عما اراد ، ولا يتعب فيه بكد الخاطر ، وانما يأتى عنده عن اسماح وسهولة دون اعداد له فيجعل من صدر بيته ما يدل على عجزه ، ورأوا من سماته انه " من سمح بالشعر واقتدر على القوافى ، وأراك فى صدر بيته عجزه ، وفى فاتحته قافيته ، وتبينت على شعره رونق الطبع ووشى الغريزة ، واذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزحر " (٢) .

وتختلف نظرة ابن قتيبة الناقد يتالى الطبع عنها الى الصنعة ، فهو يغتفر فى شعر الطبع مالا يغتفره فى شعر الصنعة ، ولذلك اتخذ من الارتجال عذرا للشاعر اذا ما أخطأ ، لانه لم يعد نفسه قبل أن يشرع فى القول وقد التمس من ذلك عذرا للحارث بن حلزه فى معلقته التى ارتجلها والتى أقوى فيها حيث قال : " ولن يضر ذلك فى هذه القصيدة لانه ارتجلها فكانت كالخطبة " (٣) . وهذا لا يعنى ان الشاعر المطبوع ينظم كيفما اتفق ، وفى أى وقت أراد ، وقد ادرك ابن قتيبة ذلك وتنبه الى اختلاف الشعراء فى الطبع وفقا لطبائعهم . فالطبع الشعرى فردى يختلف من شاعر لشاعر ،

---

(١) أسامة بن منقذ . البديع فى نقد الشعر . (مصر ١٩٦٠/٢٣٨٠م) ص ٢٩٦ . قوله : " وبالعكس " موضع نظر : فالمعروف عن الرواة والاناة فى الشعر أن يخرج الشعر جيدا مستويا محكما .

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : جـ ١ : ص ٩٠

(٣) المصدر السابق : جـ ١ : ص ١٩٨ .

لان الفنان يختلف فى ميوله تبعا لطبعه ومزاجه ، كما أن السلوك الشخصى للشاعر قد لا يؤثر على منحاه فى الشعر ، فقد يكون شاعرا متحللا لا يحسن القول فى الغزل ، وقد نجد العكس . ومن الشعراء من يحسن القول فى غرض دون غرض، كما ان منهم من تشتد عنايتهم بغرض واحد فيوليه الشاعر اهتمامه حتى يبرز فيه وحتى تكون جميع الاغراض التى نظم فيها لا ترقى الى درجة الفن الذى اولاه اهتمامه فعرف به ، فمن الشعراء من برز فى شعر الحرب مثلا كعنترة، ومنهم من جعل الهجاء همه ووكده كالحطيئة كما اشتدت عناية البحترى بالاوصاف ونهج المتنبى نهج زهير فى الامثال . فأساليب الشعر والاجادة فيه تتنوع بحسب مسالك الشعراء فى كل طريقة من طرقه ، ولا يقتصر هذا الاختلاف على الشعراء فحسب بل أن الشعر نفسه يختلف ايضا بحسب اختلاف طرقه ، فهناك أغراض تحتاج الى الجزالة والمتانة فى الطريقة وغيرها يحتاج الى الرقة والسلاسة وما الى ذلك، كما أن للبيئة أثرها فى ذلك فقد يستطيع البدوى الذى يسكن الصحراء أن يصف ما تقع عليه عينه من المياه الجارية والابل ، وحالة التنقل ، ووصف الديار، فيكون شعره صورة صادقة للحياة التى يحياها ، ثم انه يجد مناسبة حينما يأتى ليتغنى بأشياء لم يألفها من قبل وقد لا يوفيها حقها . والشعر ايضا يخضع لظروف وأحوال قائليه فمنهم من يحسن القول فى الفخر ولا يحسن فى الاستجداء وقد يكون العكس . وهكذا يبدو لنا أن هناك تحكما من جانب الطبع فى الشاعر . " فمنهم من يسهل عليه المديح ويعسر عليه الهجاء ومنهم من يتيسر له المراثى ويتعذر عليه الغزل "(١) وقد ضرب ابن قتيبة على ذلك

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : جـ ١ : ص ٩٣ ـ ٩٤

مثالا من أروع الامثلة على نقده النظرى " فهذا ذو الرمة أحسن النـــاس تشبيها ، وأجودهم تشبيبا ، وأوصفهم لرمل وهاجرة وفلاة وماء وقراد وحيـة فاذا صار الى المديح ، والهجاء خانه الطبع . وذا ك أخره عن الفحـــول فقالوا : فى شعره أبعار غزلان ونقط عروس : وكان الفرزدق زير نســـاء وصاحب غزل ، وكان مع ذلك لا يجيد التشبيب ، وكان جرير عفيفـــــا عزهاة عن النساء ، وهو مع ذلك أحسن الناس تشبيبا ، وكان الفـــرزدق يقول : ما أحوجـــه مع عفته الى صلابة شعرى وما أحوجنى الى رقة شعـــره لما ترون "(١)

لقد تحدث ابن قتيبة عن امارات الشعر المتكلف ، ولم يتطرق لأمـــارات الشعر المطبوع لان ميادين الطبع كثيرة ومتنوعة لكنه أورد بعض السمـــات العامة للشعر المطبوع فى حديثـه عن الشعراء المطبوعين ، فهو الذى صدر عن اسماح وسهولـة ، وأفاد الإبانة وكان قريب المأخذ بحيث يكون بين الألفاظ تقارب يبين ارتباط بعضها ببعض مع الترتيب المحكم ليزيد الكلام بيانا وحســـن ديباجـة واستدلالا بأولـه على آخـره ، وان تكون العبارات جزلـــــــة مستعذبة ذات طلاوة تتبين عليها . رونق الطبع ووشى الغريزة" .

لقد عالج ابن قتيبة نظرية لها قيمتها النقدية لانها تتصل بالروح والشعور ففرق بين نوعين من الشعراء : هما شعراء الصنعة وشعراء الطبع ، كمـــــا فرق بين نوعين من الشعر : هما الشعر المتكلف والشعر المطبوع ، ولقـــد كان مجيدا فى نقده النظرى حينما عالج نظرية الطبع والصنعة وقد حاول أن يطبق

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء جـ ١ : ص ٩٤ .

لنظرته النقدية التى اوضحناها فمال به ذوقه واختياره الى أن يورد اكثر من شاهد ولنا على انعدام الذوق فى نقده التطبيقى ، وهذا لا ينفى أن يكون له نقد جيد ، فقد كانت له اختيارات موفقه فى كثير من المواطن الاستشهاديه ذكرنا ها له فى مواضعها ، الا أن من تلك الشواهد التى تبين لنا أن نقده العملى ردئ تلك الابيات الرديئة التى استشهد بهاعلى المطبوع من الشعر ، وهى ابيات لابن مطير لم تتضمن تلك الصفات التى عددها للمطبوع من الشعر.فمن ملاحظاتنا على هذه القصيدة : أن الشاعر لم يصف المطر بدافع منه وانما طلب اليه ذلك ، وقد يكون غير متهئ أو لم تكتمل عنده الدوافع التى تحفزه على قول الشعر حينذاك بل أراد أن يلبى طلب الوالى ، وقد يكون الفرق واضحا بين من ينظم الشعر على الهاجس وبين من يطلب اليه قول الشعر ، لأن الأخير قد يضطره الامر الى التكلف البعيد وبذلك يخرجه هذا التكلف عن رونق الطبع ووشى الغريزة ، واننى أورد الابيات كاملة لنتبين ما فيها من تكرير للحرف الواحد فى البيت الواحد مما يثقل كاهل الشعر ، وتمجه النفس ولا تستريح لسماعه الاذن ، وعلى هذا فهو لم يصدر عن ذلك الطبع الذى تحدث عنه ابن قتيبه ، وهو الاقتدار على القوافى ، وأن يجعل من صدر بيته ما يدل على مقصده مع توضيح الفكرة التى يتحدث عنها الشاعر . لقد اتعب الشاعر فكره فتكلف فى توليد الصور النابيه ومع ذلك يصفه ابن قتيبة بأنه " كثير الوشى لطيف المعانى "(١) أما الأبيات التى أوردها فهى :-

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، جـ ١ : ص ٩٢

كثرت لكثرة قطره أطبـاؤه * فاذا تحلب فاضت الأطبـاء

وكجوف ضرته التي في جوفه * جوف السماء سبحلة جوفـاء

وله رباب هيدب لرفيفـه * قبل التبعق ديمة وطفـاء

وكأن بارقه حريق يلتقـى * ريح عليه وعرفج ـ وألاء

وكأن ريقه ولما يحتفـل * ودق السماء عجاجة كـدراء

مستضحك بلوامع مستعبـر * بمدامع لم تمرها الأقـذاء

فله بلا حزن ولا بمسـرة * ضحك يؤلف بينه وبكـاء

حيران متبع صباه تقـوده * وجنوبه كف لهووعـاء

ودنت له نكباؤه حتى اذا * من طول ما لعبت به النكباء

ذاب السحاب فهو بحركله * وعلى البحور من السحاب سماء

ثقلت كلاه فنهرت أصلابـه * وتبعجت من مائه الاحشـاء

غدق ينتج بالاباطح فرقا * تلد السيول ومالها أسـلاء

غر محجلة دوالح ضمنـت * حمل اللقاح وكلها عـذراء

سحم فهن اذا كظمن فواحم * سود وهن اذا ضحكن وضـاء

لو كان من لجج السواحل ماؤه * لهبيق من لجج السواحل مـاء (١)

من ذلك نرى أن الاستعارات مع كثرتها وطغيانها على القصيدة غير لائقـة لما استعيرت له والتشبيهات متكلفة حتى لتجد غثاثة ينفر منها الذوق اذ القصد من الشعر تحريك النفوس ، وبلوغ القصد عن طريق أخذ العفو من المعانـى وترتيب الالفاظ وتجانسها مع بعضها البعض مع عدم الاغراق فى الوصف الـذى

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، جـ ١ : ص ٩١ ـ ٩٢ .

يمسح الشعر رونقه ويذهب بطلاوته . واذا كان الحرص قائما على استجادة الجمهور للكلام فان ابن قتيبه باستشهاده المتقدم لم يراع ذلك الحرص وانما جعل الاستسلام للخواطر الاولى سواء أدت مهمتها الفنية ام قصرت عن أدائها . فهذا الشعر كما ترى لم يكلف صاحبه مؤونة الكد فى تثقيفه وتقويمه لانه ارتجله فهو وليد الساعة ولم ترتسم عليه علامات الطبع لانه لم يأت مهذبا نقيا ولو أنه استشهد مثلا بقصيدة الحارث بن حلزة اليشكرى :(١)

آذنتنا ببينها أسماء * رب ثاو يمل منه الثواء .(٢)

والتى ارتجلها بين يدى عمرو بن هند ارتجالا لطبق المفصل ، لأن المسببات والبواعث متوفره لدى الشاعر ، فجاءت قصيدته حسنه مستعذبة لانها صدرت عن سليقة فياضة ودوافع فردى صادر عن الشاعر نفسه ، فأتت الفاظه متتابعة فى سهولة ويسر وتدفق فصدر شعره عن فطرة واسماح .

لقد بين ابن قتيبة أمارات الشعر المتكلف فأجاد ، وكانت خطوته فى ذلك موفقه تدل على مقدرته الادبيه وسعة علمه ، وجعل تلك الامارات واضحة يعرفها كل من له علاقة بصناعة الشعر ، كما أصاب فى بيان خصائص الشعر المطبوع ولكنه عندما أراد أن يطبق لنقده ومفهومه للشعر المطبوع أخطأه التوفيق ولم يحالفه الحظ فلقد كانت ثقافته واسعة تؤهله لأن يتصدى لقضايا النقد الأدبى الا أن ذوقه احيانا لا يؤهله لذلك كما بينا ذلك فى نقده التطبيقى حينما تصدى لنظرية المتكلف والمطبوع من الشعر .

---

(١) هناك استشهادات كثيرة لخصائص الشعر المطبوع ، وانما اقتصرت على قصيدة الحارث بن حلزة لانها تمثل ما أراده ابن قتيبة من الشعر المطبوع الذى يأتى على البديهة وسرعة الخاطر .

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء جـ ١ : ص ١٩٧ .

الفصل السادس

موقف ابن قتيبة من القديم والحديث

من القضايا النقدية الهامة التى شغلت أفكار النقاد القدماء زمنا طويلا قضية القديم والحديث فى الشعر ، وقد اختلف أولئك النقاد فى تحديد فترة كل منهما ، كما اختلفت مواقفهم بالنسبة لكل منهما . فبعضهم نظر الى القديم على أنه الشعر الجاهلى ولذلك لم يرقه أن يستشهد ببيت اسلامى ، كما فعل أبو عمرو بن العلاء الذى قال عندما سئل عن شعر الأخطل : " لو أدرك يوما واحدا من الجاهلية ما قدمت عليه أحدا .... وكان يرى الفرزدق ... وجريرا ... كان يراهما وأشباههما من المحدثين فيعرض عن شعرهم مع اقراره بجودته "(١) ويقول الاصمعى : " جلست الى ابى عمرو بن العلاء عشر سنين فما رأيته يحتج ببيت اسلامى "(٢).

أما ابن الاعرابى فقد عرضت عليه ارجوزة لأبى تمام على انها لبعض شعراء العرب الاقدمين :

وعاذل عذلته فى عذله * فظن انى جاهل من جهله

فقال : " هذا هو الديباج الخسروانى ، فقيل له : انها لأبى تمام ، فقال على الفور : من أجل هذا أرى عليها أثر الكلفة "(٣) وكان يقول : "

---

(١) على الصارى : الصراع الادبى بين القديم والجديد مصر ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م ص ٧٦
(٢) المصدر السابق : ص ٧٦
(٣) المصدر السابق : ص ٧٧.

" انما أشعار هؤلاء المحدثين ـ مثل أبى نواس وغيره ـ مثل الريحان يشم يوما ويذوى فيوم به ، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيبا "(١) فهو يشير الى أن ابا نواس يمثل مذهب المجددين فى الشعر ، وضرب الاصمعى فى هذه القضية بسهم فقد كان يقول : " بشار خاتمة الشعراء والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم "(٢) فجعل الفضيلة للزمن ، وقد كان ذلك دأب الرواة واللغويين ، فاذا ما مضينا الى ابن قتيبه رأيناه يشير الى أن القديم هو ما سبق زمن الناقد أيا كان والحديث هو ما قيل فى عصره ، أو قريبا منه يقول : " فانى رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويضعه فى متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده الا أنه قيل فى زمانه أو أنه رأى قائله "(٣) ثم يقول : " وجعل " الله " كل قديم حديثا فى عصره ، وكل شرف خارجية فى أوله ، فقد كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم يعدون محدثين ... ثم صار هؤلاء قدماء عندنا بعد العهد منهم وكذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا ، كالخريمى ، والمتنابى ، والحسن بن هانىء ، وأشباههم "(٤) وقد نجد تحديد هذه المدرسة بعهد بشار عند رجل متأخر عن ابن قتيبه وهو الصولى حيث يقول : " ان الفاظ المحدثين منذ عهد بشار الى وقتنا هذا كالمتنقلة الى معان أبدع "(٥) على أن هذه المدرسة البيانية التى تفننت فى البديع بدأت ببشار الذى كان يعد رأسا لها ، وكان من ابرز رجالها

---

(١) المرزبانى : الموشح : ص ٢٢٣ .
(٢) على العمارى : الصراع الادبى بين القديم والجديد : ص ٧٧ .
(٣) ابن قتيبه : الشعر والشعراء : جـ ١ : ص ٦٢ ـ ٦٣ .
(٤) المصدر السابق : جـ ١ : ص ٦٣ .
(٥) الصولى : اخبار ابى تمام . (القاهرة ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م ص ١٦)

ابن هرمة والمتابى ، و منصور النمرى ، وأبو نواس ، ومسلم بن الوليد ، وأبو تمام ، وكانت موضع انتقاص أمام انصار القديم .

وقد راى كثير من الباحثين المحدثين فى النقد ان فى موقف الرواة واللغويين تعصبا للقديم ، واستشهدوا على ذلك باعراضهم عن شعر ابى دواد وعدى بن زيد التميمى ، واعراض ابى عمرو خاصة عن شعر الشعراء الاسلاميين ، يقول العمارى : " وأول حرب علمناها على الجديد فى الادب العربى هى اعراض الرواة عن رواية شعر ابى دواد الايادى وشعر عدى ابن زيد التميمى لمخالفتهما ـ كما زعموا ـ مذاهب الشعراء "(١) . ولذلك يبدو لاول وهلة أن موقف الرواة واللغويين فى هذه الخصومة يوحى بالتعصب للقديم ، غير أننا اذا انعمنا النظر فى موقفهم ذاك رأينا أن الغرض منه موافقة اللغة فقط ، وقد بين ابن رشيق أن موقفهم لم يكن لشىء "إلا لحاجتهم فى الشعر الى الشاهد وقلة ثقتهم بما يأتى به المولدون "(٢) .

ثم يذكر الدكتور عز الدين اسماعيل السبب نفسه فيقول : " وقد يكون تفضيل القديم قد جاء من وجهة نظر لغوية بحت . هى ان اسلم اللغة ما تكلم به القدماء "(٣) .

فالعصر الاموى وصدر العصر العباسى لم يشهدا صراعا بين القديم والجديد . فكل ما هنالك أن الرواة فى دراستهم للغة احتجوا بالقديم ، ولم يحتجوا

---

(١) على العمارى : الصراع الادبى بين القديم والجديد : ص ٧٥
(٢) ابن رشيق : العمدة ، جـ ١ : ص ٩١
(٣) د . عز الدين اسماعيل : الاسس الجمالية فى النقد العربى ص ١٩٠

بالحديث لدخول غير العرب فى العرب فظن هؤلاء الباحثون أن ذلك تعصبا للقديم .

فالصراع بين القديم والجديد انما كان فى العصر العباسى ، فقد ساير الشعر العربى الحياة الجديدة ، وأخذ الشعراء يصورون الحياة الحضريه المترفة ، مع تطويرهم للاغراض الشعريه التى طرقها القدامى بما يتلاءم مع الحياة الجديدة . فما هى اذن مظاهر التطور والتجديد فى الشعر العباسى ؟ . لاشك أن الشعراء فى هذا العصر أبدعوا فى الحدود التى رسمها القدماء ، وصوروا الحياة الجديدة احسن تصوير ، فقد وسعت آفاقهم الثقافات الاجنبيه ، فكان هذا العصر بحق ، عصر الحضارة والثقافة ، والترجمة ، استجاب الادب العربى فيه لمطالب المجتمع الجديد بسبب اتساع الحضارة الاسلامية ، ومن ثم اتسم شعرهم برقة العبارة ، وتعميق المعانى ، والبعد عن السطحية ، فقد " قام على صناعة الشعر أمشاج من العرب والموالى ، فكان طبيعيا أن تتطور صورته ، وأن تختلف عن صورة الشعر القديم ، الذى كان يستمد من علاقات البادية وصلاتها الحسية والمعنوية "(١) فأخذوا يزخرفون الصياغة ، ويمعنون فى الاستعارة ، وهذا مذهب جديد فى الشعر العربى ، ولم يقف التجديد عند حد الصياغة ، بل تعداها الى محاولات اخرى تتصل بأعاريض الشعر واوزانه " فاهتدى بشار الى أوزان جديدة نظم منها تظرفا "(٢) ولعل ابا المتاهيه اقرب المحدثين

---

(١) د . شوقى ضيف : الفن ومذاهبه فى الشعر العربى (مصر / ١٩٦٩) ص ٩١
(٢) طه احمد ابراهيم : تاريخ النقد الادبى عند العرب ص ٩٩ .

الى هذا الاتجاه " وكان لسرعته وسهولة الشعر عليه ، ربما قال شعرا موزونا يخرج به عن اعاريض الشعر واوزان العرب "(١) هذا يمثل ما وصل اليه المحدثون من تطوير فى الشعر العربى ، وقد رأى المحافظون من هذا التطوير أن المحدثين قد انحرفوا فى صناعتهم عن التقاليد الشعريه التى ورثوها عن القدماء ، فالقدماء والمحدثون متعاصرون ، ـ وهم من الادباء وليسوا من النقاد ، ومنذ ذلك الحين صار للشعراء مذهبان ، المذهب الاول وهو مذهب طائفة المحافظين الذين احتذوا القدماء فى منهجهم ، محاولين التمسك بما سمى فيما بعد بعمود الشعر فمن " بنى شعره عليها فهو عندهم المفلق المعظم ، والمحسن المقدم "(٢) ـ والمذهب الآخر وهو مذهب المحدثين الذين انحرفوا " فى صناعتهم عما يقتضيه عمود الشعر من اصول "(٣) وكان ذلك بطبعه مدعاة لقيام اختلاف النقاد تبعا لذلك ، فأخذوا ينظرون فى المذهبين الشعريين أيهما يفضل الآخر ؟ فاحتدمت الخصومة بين موقف المحافظين ومذهب المجددين ، واصبح لكل منهما انصاره الذين يدافعون عنه .

وقد تناول ابو نواس جانبا من جوانب هذه الخصومة ، فحاول أن يصرف الشعراء عن المطالع القديمة للقصيدة العربية التى كانت ظاهرة عامة فى شعر الجاهليين والاسلاميين ومحاولته استبدال تلك الديباجة الطللية بأخرى تناسب الحياة الحاضرة فى عصره ، فانقسم الناس ازاءها بين مؤيد

---

(١) ابن قتيبه : الشعر والشعراء : جـ ٢ : ص ٧٩١ .
(٢) المرزوقى : الحماسه جـ ١ : ص ١١ .
(٣) د . محمد غنيمى هلال : النقد الادبى الحديث (القاهرة ١٩٦٤م ـ ص ١٧٨ .

لهذه الظاهرة على أنها دعوة الى الأصالة فى الانتاج الفنى ، لأن ـ المطالع التقليدية للقصيدة العربية لا تعبر عن مشاعر المحدثين ولاعواطفهم تعبيرا صادقا ، وأن طرق القدماء ومناحيهم لا تنهض الان بتصوير الحياة التى يحياها الشعراء فى العصر العباسى . وبين معارض يرى فى ذلك تعصبا شعوبيا ضد العرب وسخرية من التقاليد الشعرية العربية . فمحاولته لم تكن ادبية خالصة ، وانما كانت شعوبية متعصبة على العرب هازئة بتقاليدهم لانه لم يصنع شيئا فنيا فى دعوته . فالوقوف على الحانات بدلا من الوقوف على الديار ليس تجديدا فى الطريقة الفنية ، واذا كان ابو نواس قد مال الى الخمر ليجعلها ديباجة حضرية يفتتح بها قصائده كما فى قوله :

صفة الطلول بلاغة الفدم * فاجعل صفاتك لابنة الكرم (١)

فقد سبق الى هذه الديباجة منذ العصر الجاهلى ، فعمرو بن كلثوم الشاعر الجاهلى بدأ معلقته بوصف الخمر حيث قال :

الاهبى بصحنك فاصبحينا * ولا تبقى خمور الاندرينا (٢)

وقد اخفقت تلك الحركة التى نادى بها ابو نواس " ولم تستهو من الشعراء الا نفرا يسيرا من الذين لا يمتون بنسب الى شبه جزيرة العرب ، وليس لهم فيها ذكريات ولا رفات . " (٣) وقد اخذ نقاد العرب المحافظون يدافعون عن كل ما هو قديم وينظرون الى المجددين نظرة انتقاص فأقاموا بذلك نظريتهم فى عمود الشعر التى تقوم على رعاية مجموعة من التقاليد الشعرية التى ورثوها عن العصور الاولى للشعر ـ العصر الجاهلى ، وعصر صدر الاسلام ، والعصر

---

(١) الصولى : اخبار ابى تمام . ص ١٦
(٢) البغدادى . خزانة الأدب . " تصوير بيروت بدون تاريخ " جـ ١ . ص ٥١٧
(٣) طه احمد ابراهيم . تاريخ النقد الادبى عند العرب ص ٩٦ .

الأموى تقريبا ـ هذه التقاليد الشعرية التى دعوا الى رعايتها ، منها ما يرجع الى اللفظ فتطلبوا فيه ،الجزالة والاستقامة ،والمشاكلة للمعنى وشدة اقتضائه للقافية. ومنها ما يرجع الى المعنى الجزئى ،فكانوا يحاولون شرف المعنى وصحته ،والاصابة فى الوصف،أما فيما يتصل بالمعانى الجزئية واتصال بعضها ببعض ،فقد طلبوا المقاربة فى التشبيه ، والتحام اجزاء النظم والتئامها ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له . فهذه هى خصال عمود الشعر نظر اليها نظرة احترام ، فكان موقف المتمسكين بعمود الشعر موقفا تقليديا محافظا ، وقد رأى المحدثون فى تلك التقاليد الموروثة عائقا يقف فى طريق تطور الشعر العربى ،فاستمرت الخصومة بين المحافظين والمجددين محتدمة حتى القرن الثالث الذى اصبح النقد فيه متشعب الجوانب متباين الاتجاهات ومتأثرا بكل مظاهر العصر ، فكان هناك الاتجاه اللغوى الذى قام على خدمة اللغة،واتجاه الادباء والشعراء الذين اهتموا بالمحدث واولوه عناية كبيرة،والاتجاه الثالث الذى تأثر اصحابه بالتراث اليونانى وحاولوا أن يضعوا مقاييس ثابتة للنقد الادبى تعتمد التقنين والتقعيد ، والاتجاه الرابع المتمثل فى مذهب العلماء الذين جمعوا بين القديم والحديث فى اعتدال فقد اخذوا نصيبا كبيرا من التراث العربى قديمه وحديثه وتأثروا بالعلوم الاجنبية كالفلسفة والمنطق ، قدنوا الأفكار النقدية التى وصلتهم من القدماء فى شىء من الترتيب والتنظيم ، ووضعوها فى أصول وقواعد ثم أضافوا اليها بعض النظرات النقدية الحديثة التى اهتدوا اليها فجاء لهم ذوق خاص فى نقد الادب وكانوا معتدلين فى

(١)

(١) انظر المرزوقى . الحماسة جـ ١ : ص ٩.

نظراتهم وفى احكامهم النقدية وقد نشأ هذا الاتجاه فى خضم المعركة التى دامت زمنا طويلا قبل أبن قتيبة والتى دارت رحاها بين القديم والحديث فلعب دورا فى تحقيق المساواة بين الفريقين المتنازعين حتى حقق هدفه ،وبدأ القديم والجديد يتساويان فيما يستحقانه من استحسان واستهجان . الا ان اكثر الدارسين للنقد العربى يرون أن أول من بدأ هذا المفهوم هو أبو محمد عبد الله ابن مسلم بن قتيبة يقول الدكتور عز الدين اسماعيل : " بدأ القديم والجديد يتساويان أمام اكثر نقاد القرن الثالث فيما يستأهلان من استحسان واستهجان ،ويسود هذا المفهوم الذى بدأه ابن قتيبة"(١) . " ويقول الدكتور محمد زغلول سلام فى حديثه عن النقاد الذين وقفوا موقفا وسطا من التراث يقول : " أولهم ابن قتيبه وقف بين القدماء والمحدثين ،وحاول أن ينصر قضية الشعر الحديث والشعراء المحدثين بعد أن كان النقاد وعلماء اللغة ورواة الشعر يغمطونهم حقهم "(٢) . وقد فات هؤلاء الدارسين وغيرهم أن موقف ابن قتيبة من القديم والجديد هو موقف ابرز نقاد القرن الثالث . فهى اذن فكرة العصر التى تبلورت فى الاذهان بدأها الجاحظ ونماها ابن قتيبة وأدلى بدلوه فيها المبرد ، وسار على نهجهم بعد ذلك الجرجانى . فقد اهتم الجاحظ بالشعر المحدث الى جانب احترامه للتراث القديم وحاول فى اعتدال وقصد أن يقف منهما موقفا توفيقيا،فنراه حينما يتحدث عن شعر ابى نواس يقول : " وان تأملت شعره فضلته الا أن تعترض عليك فيه العصبية

---

(١) د . عز الدين اسماعيل . الاسس الجمالية فى النقد العربى : ص١٩٢
(٢) د . محمد زغلول سلام . تاريخ النقد العربى (مصر ١٩٦٤م) ص٢١٩

أو ترى أن أهل البدو أبدا أشعر وأن المولدين (١) لا يقاربونهم فى شىء فان اعترض هذا الباب عليك فانك لا تبصر الحق من الباطل ما دمت مفلوجا." (٢)

ثم نراه يعلن موقفه صراحة فى قوله : " وقد رأيت أناسا " منهم "يسهرجون أشعار المولدين ، ويستسقطون من رواها ، ولم ار ذلك قط الا فى راوية للشعر غير بصير بجوهر ما يروى ، ولو كان له بصر ، لعرف موضع الجيد ممن كان وفى أى زمن كان." (٣)

ونجد هذا الموقف العادل ايضا عند رجل كالمبرد الذى عاصر ابن قتيبة فتأثر بروح العصر اذ يقول : " وليس لقدم العهد يفضل القائل ، ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب ولكن يعطى كل ما سيتحق." (٤)

فالجاحظ والمبرد يتفقان مع ابن قتيبه فى هذا الموقف الا أن ابن قتيبه أبين منهما فى التعبير وأكثر اسهابا ، لان موقفه يتمثل فى الانتصاف للحديث من انصار القديم فكانت للمحدثين عنده رعاية فترجم لكثيرين منهم فحطم بذلك القيود التقليدية المحافظة فهو فى هذه القضية ناقد متفتح ، يتسم نقده بالموضوعيه ، فاذا كان الجاحظ قد بدأ الفكرة ، فان ابن قتيبة كان له

---

(١) المولد : الشىء المحدث من كل شىء (انظر الفيروز ابادى . القاموس المحيط . جـ ١ : ص ٣٦٠). وقيل المولد فى الاصل من ليس خالص العروبة من جهة أمه وأبيه فلما كثر غير العرب فى العصر العباسى اتسع الاصطلاح فأصبح المراد به كل شاعر أدرك الدولة العباسية ، ولو كان عربيا صميما ، لان من ضمهم هذا العصر من الشعراء تثقفوا ثقافة واحدة عربية كانت أم أعجمية .

(٢) الجاحظ . الحيوان : جـ ٢ : ص ٢٧

(٣) الجاحظ . الحيوان : جـ ٣ : ص ١٣٠

(٤) المبرد : الكامل : جـ ١ : ص ١٨

القول الفصل فيها ، فقد فحص القديم وعدل الاحكام الجائرة التى اصدرها انصاره على المحدثين ،وكان شجاعا فى هذا الاتجاه حيث بين كل جوانب القضية واصدر حكمه العادل فيها ، وكان صائبا فى ذلك الحكم اذ يقول : " ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختارا لسبيل من قلد ،أو استحسن باستحسان غيره . ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمة والى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره . بل نظرت بعين العدل على الفريقين ، واعطيت كلا حضه ، ووفرت عليه حقه . "(١) فقد كان مستقلا فى رأيه فلم يخضع لتقاليد سابقيه ، فبدأ يعيب على بعض علماء عصره استرذالهم للشعر المحدث الرصين لمجرد انه قيل فى زمانهم ،أو أنهم رأوا قائله ، وهم فى ذلك لا يعتمدون اساسا فنيا يبنون عليه انكارهم للمحدث وتقديمهم للقديم وهذا الموقف حدا بهم الى تقديم الشعر السخيف على الشعر الرصين يفارق الزمن فهو يقول : " فانى رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه فى متخيره ويرذل الشعر الرصين ، ولا عيب له عنده الا أنه قيل فى زمانه ،أو أنه رأى قائله "(٢) فالله سبحانه وتعالى " لم يقصر العلم ، والشعر ، والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوما دون قوم بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده فى كل دهر ، وجعل كل قديم حديثا فى عصره ، وكل شرف خارجية فى أوله ، فقد كان جرير والفرزدق والاخطل وأمثالهم يعدون محدثين ... ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد منهم وكذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا ، كالخريمى والمتنبى ، والحسن بن هانىء

---

(١) ابن قتيبه : الشعر والشعراء :جـ١ :ص ٦٢ :
(٢) المصدر السابق : جـ ١ : ص ٦٢ ـ ٦٣ .

وأشباههم . فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له ، وأثبتنا به عليه ، ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله ، ولاحداثة سنه ، كما أن الردى ، اذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه . "(١)

فالجودة عنده هى المقياس الذى يبنى عليه الحكم ، فمتى كان الشعر جيدا حسنا ذكره لصاحبه دون النظر الى مكانته الزمنية أو الشخصية ، فخلع بذلك عن نفسه رداء العصبية وتجرد عن الهوى ، فقد يكون للمحدث الشعر الرصين والمعنى الجيد كما يقول الصولى فى حديثه عن الشعراء المحدثين " ... وقد وجدنا فى شعر هؤلاء ـ المحدثين ـ معانى لم يتكلم القدماء بها ومعانى أوما وا اليها فأتى بها هؤلاء واحسنوا فيها "(٢)

وقد سار على منهج المعتدلين فى هذه القضية كثير من النقاد ممن أتى بعدهم لان الفكرة اصبحت واضحة أمامهم ، فعبد العزيز الجرجانى يرى " ـ أن الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ، ثم تكون الدربة مادة له ، وقوة لكل واحد من اسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الاحسان ولست افضل فى هذه القضيه بين القديم والمحدث ، والجاهلى والمخضرم والاعرابى والمولد . "(٣) ونظر الباقلانى للقديم والحديث نظرة موضوعية حيث قال : " طريقة الشعر شريعة مورودة ، ومنزلة مشهودة ، يأخذ

---

(١) ابن قتيبة جـ ١ : ص ٦٣
(٢) الصولى : اخبار ابى تمام . ص ١٧
(٣) على بن عبد العزيز الجرجانى : الوساطه بين المتنبى وخصومه . (مصر سنة ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م) ص ١٥

منها أصحابها على مقادير اسبابهم ، ويتناول منها ذووها على حسب أحوالهم . وأنت تجد للمتقدم معنى قد طمسه المتأخر بما أبر عليه فيه ، وتجد للمتأخر معنى قد اغفله المتقدم ، وتجد معنى قد توافدا عليه وتوافيا اليه ، فهما فيه شريكا عنان "(١) ثم نجد ناقدا متأخرا عاش في نهاية القرن السابع الهجرى يتحدث عن القضية ويعالجها بنفس الفكرة التى عالجها بها ابن قتيبه ذلك الناقد هو حازم القرطاجنى المتوفى سنة ٦٨٤ هـ . الذى يرى أن " من يذهب الى تفضيل المتقدمين على المتأخرين بمجرد تقدم الزمان فليس ممن تجب مخاطبته فى هذه الصناعة ، لانه قد يتأخر أهل زمان عن أهل زمان ثم يكونون اشعر منهم لكون زمانهم يحوش عليهم من اقناص المعانى بسفوره لهم عن أشياء لم تكن فى الزمان الاول ، ولتوفر البواعث فيه على القول وتفرغ الناس له "(٢).

من ذلك نرى أن النظرة فى القديم والجديد اصبحت نظرة موضوعية وأن الحكم فيها اصبح واضحا لا غبار عليه ، وان ابن قتيبة كان رائد الذين تعرضوا لها ، الا أن الشيء الغريب الذى نجده عنده أن تلك الخصومة اكثر ما قامت حول شاعرين مشهورين هما البحترى وأبو تمام(٣) . فالبحترى كان يمثل القديم لانه تمسك بقواعد عمود الشعر بينما كان ابو تمام يمثل حركة الحديث عندما أفرط فى الاستعارات البعيدة ، فاتخذ لنفسه

---

(١) الباقلانى : اعجاز القرآن : ص ١٨٣

(٢) القرطاجنى : منهاج البلغاء وسراج الادباء ص ٣٧٨

(٣) لم يورد ابن قتيبه للطائيين أشعارا فى كتبه الادبية المتقدمة ككتاب المعانى الكبير وكتاب الشعر والشعراء ، وكتاب ادب الكاتب غير انه فى كتاب عيون الاخبار استشهد للبحترى فى موضعين فقط (جـ١ : ص ٢٣٢ و جـ ٣ : ص ٣٤) ولأبى تمام فى اكثر من ثلاثين موضعا .

مذهبا جديدا فى الشعر العربى ، وان ابن قتيبة لم يتعرض لهذين الشاعرين فى كتاب الشعر والشعراء ، وهذه المسألة تحتاج الى أن نقف عندها لنتبين الاسباب التى جعلت ابن قتيبة يستبعدهما من كتابه ، مع ان ابا تمام من شعراء المعانى ، وابن قتيبة يهمه المعنى كثيرا ، بينما كان البحترى يشكو من طغيان المنطق على الشعر حيث يقول :

كلفتمونا حدود منطقكم * فى الشعر يلفى عن صدقه كذبه
ولم يكن ذو القروح يلهج بالمن * طق ما نوعه وما سببه
والشعر لمح تكفى اشارته * وليس بالهزر طولت خطبه (١)

وابن قتيبة يعيب على معاصريه توغلهم فى المنطق لانه رأى أن ارفع درجات لطيفهم " أن يطالع شيئا من تقويم الكواكب وينظر فى شىء من القضاء وحد المنطق " (٢) كما عاب عليهم انهم كانوا لا يحفلون بالشعر الذى سبقهم زمن قائله بفترة قليلة أو رأوا قائله ، فقد اصبح التقارب اذن واضحا بين الشاعرين وابن قتيبه مما يدعوه الى أن يترجم لهما بالاضافة الى كونهما شاعرين مشهورين ملاءا الدنيا بشعرهما . فهل كانا متأخرين عن الشعراء الذين حفل بهم وترجم لهم؟ لقد توفى ابو تمام سنة ٢٣١ هـ بينما نجد أن ابن قتيبة قد ترجم لدعبل الخزاعى المتوفى سنة ٢٣٥ هـ أى بعد وفاة ابى تمام بأربعة أعوام . اما البحترى فقد عاصر ابن قتيبة وتوفى بعده سنة ٢٨٤ هـ .

---

(١) البحترى . ديوانه : " مصر ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م (ص٣٨)
(٢) ابن قتيبة : ادب الكاتب : ص ٣

قد يخيل الى أن موقفه هذا كان متعمدا . وربما كان ذلك راجعا الى أن الرأى فى هذين الشاعرين لم يستقر بعد ، وأن اتجاهيهما كانا موضع أخذ ورد بين النقاد وقد كان بعض النقاد وخاصة اللغويين منهم يخشى من السنة الشعراء اذا هو تعرض لشعرهم بالنقد . سئل أبو عبيدة " أى الرجلين أشعر ابو نواس أم ابن أبى عيينة فقال : أنا لا أحكم بين الشعراء الاحياء "(١) واستبعد ابن سلام شعراء عصره من كتابه " طبقات فحول الشعراء " فلم يترجم لهم ، وربما يكون ناقدنا لم يترجم للبحترى الذى عاصره خشية من لسانه ، كما لم يترجم لأبى تمام الذى توفى قبل تصنيف كتاب الشعر والشعراء خشية من انصاره وأشياعه أن يتعرض لالسنتهم اذا هو ادلى برأى فيه لم ينضج بعد .

قد تبينا الان نظرة ابن قتيبة التوفيقية فى قضية القديم والجديد التى انصف فيها المحدثين " قائلا : ان شعرهم يجب الا يرد لمجرد انهم محدثون فقام التيار السائد فى عصره ."(٢)

وقد تعرض ابن قتيبة للوحدة الخارجية للقصيدة العربية وطلب الى الشعراء المحدثين الا يخرجوا على مذهب المتقدمين ، وقد كان ذلك مما دارت حوله الخصومة بين المجددين والقدماء . فالمعروف ان الشعراء الجاهليين كانوا فى الغالب لا يهجمون على أغراضهم دون أن يمهدوا لذلك بالوقوف على الأطلال فالقصائد الجاهلية تكاد تكون مشتركة فى

---

(١) ابن رشيق : العمده : جـ ١ : ص ٧٦ .
(٢) الدكتورة سهير القلماوى . النقد الادبى (طبعة دار المعرفة ١٩٥٩م ص ٣١ .)

هذا التمهيد ، وهذا المنهج لابد أن يكون قد رسخ منذ زمن طويل وقد ذكر امرؤ القيس سلفا فى الشكوى والبكاء على الاطلال يدعى ابن خذام ... وتبع المتأخرون هذا المنهج ولم يكادوا يجسرون على تغييره ." (١) فالوقوف على الديار تجربة تعرض لها كثيرون من شباب العرب فى الجاهلية ، لانها تتمشى مع ظروفهم البيئية وحياتهم المعروفة بكثرة الترحال والتنقل من مكان الى آخر طلبا للماء والكلاء ، مما يتيح فرص الالتقاء والتعارف بين الشباب وقد يكون هذا الالتقاء بين شاب وفتاة تكون بينهما محبة وألفة ثم لا يلبث هذا الالتقاء أن ينتهى الى الفراق فيكون ذلك مدعاة الى تذكر الديار وتلك اللقاءات ، فاذا ما كان صاحب التجربة شاعرا نفس عن لوعته بأبيات يذكر فيها تلك الديار وكانوا فى ذلك صادقين يصفون ما جرت به العادة فى بيئتهم ، وما هو مألوف لديهم ، فهى بداية مألوفة لدى الشاعر ومستمعيه على السواء .

ولا شك ان استيقاف الصحب والبكاء على الأطلال ووصل ذلك بالنسيب بداية صادقة للقصيدة العربية ، وقد ادت هذه البداية أغراضها الفنية على خير وجه عندما كانت تتصل بحياة قائليها .

الا أنه قد أصبح لتلك المقدمه وظيفة نفسية ، فقد اكتسبت شحنة عاطفية قوية اكسبتها الثبات والاستقرار فى النفوس لأن ذكر الديار وأهلها والحديث عن الحب ونوازعه مما هو فى طبيعة كل نفس ومحبب اليها تلذ لسماعه وتسكن

---

(١) بروكلمان . تاريخ الادب العربى . (مصر ١٩٦٨ م) جـ١ : ص٦٠

الى ذكره وقد علل ابن قتيبة لذلك فقال : " قال ابو محمد : وسمعت بعض اهل الادب يذكر أن مقصد القصيد انما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن ، فبكى وشكا وخاطب الربع ، واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها ، اذ كان نازلة العمد فى الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر ، لانتقالهم من ماء الى ماء وانتجاعهم الكلأ ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان . ثم وصل ذلك بالنسيب ، فشكا شدة الوجد وألم الفراق ، وفرط الصبابة والشوق ليميل نحوه القلوب ويصرف اليه الوجوه ، وليستدعى به اصغاء الاسماع اليه ، لان التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب ـ لما قد جعل الله فى تركيب العباد من محبة الغزل والف النساء ، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقا منه بسبب وضاربا فيه بسهم حلال أو حرام . فاذا علم أنه قد استوثق من الاصغاء اليه والاستماع له عقب بايجاب الحقوق ، فرحل فى شعره وشكا النصب والسهر وسرى الليل وحر الهجير ، وانضاء الراحلة والبعير .

فاذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء ، وذمامة التأميل ، وقرر عنده ما ناله من المكاره فى المسير ، بدأ فى المديح ، فبعثه على المكافأه وهزه للسماح ، وفضله على الاشباه ، وصغر فى قدره الجزيل "(١) فان ابن قتيبه فى حديثه عن الوحدة الخارجية للقصيدة العربية انما جاء بتبرير نفسى لان اجتماع هذه الاغراض فى القصيدة يضفى عليها نوعا من الوحدة الخارجية التى تتناسب وظروف الحياة الجاهلية .

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : جـ ١ : ص ٧٤ ـ ٧٥ .

وعلى هذا فقد نقل ابن قتيبة مذهب اصحاب عمود الشعر فى القصيدة العربية واتخذ منه تقليدا دعى الى مراعاته ، ففهم بعض الدارسين للنقد من ذلك أن ابن قتيبة جعل من ذلك نموذجا صالحا لكل شاعر فى أى زمان ، فقد فهموا من قوله : " فالشاعر المجيد من سلك هذه الاساليب وعدل بين هذه الاقسام "(١) أنه الزم المتأخرين هذا النظام ، وهو فى حقيقته انما يدعو الى التناسب بين اجزاء القصيدة العربية . وأما قوله : " وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين فى هذه الاقسام فيقف على منزل عامر ، أو يبكى عند مشيد البنيان ـ لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الداثر والرسم العافى . أو يرحل على حمار أو بغل ويصفهما لان المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير . أو يرد على المياه العذاب الجوارى ، لان المتقدمين وردوا على الأواجن الطوامى أو يقطع الى الممدوح منابت النرجس والآسى والورد ، لان المتقدمين جروا على قطع منابت الشيح والحنوة والعرارة "(٢) فهو لم يمنع الشعراء المتأخرين من التجديد وانما حظر عليهم التقليد الشكلى ، وذلك باستبدالهم الديباجة الطللية بأخرى تناسب الحياة المتمدنة ، لان هذا ليس تجديدا فى الطريقة الفنية . وكأنه يطلب من الشاعر الذى يريد أن يمهد لقصيدته بمقدمة طللية الا يخرج عن مذهب المتقدمين . اما اذا اراد الشاعر أن يجدد فيبدأ بتجربة صادقة فهذا مالم يتنكر له ابن قتيبه وهو الذى تمثل موقفه فى الانتصاف للشعر الحديث من انصار القديم .

وقد حاول بعض الشعراء المتأخرين أن يتحرروا من تلك المقدمة التقليدية وكانت لهم دوافع فنية خالصة ، فقد رأوا فى تمسك سائر الشعراء بالبداية

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء جـ ١ : ص ٧٥ ـ ٧٦ .
(٢) المصدر السابق . جـ ١ : ص ٧٦ ـ ٧٧ .

الغزليـة للقصائـد منافاة للصدق يجب أن يبرأ منها الشعر وكان من هؤلاء المتنبى الذى افتتح بعض قصائده بقوله :(١)

اذا كان مدح فالنسيب المقدم * أكل فصيح قال شعرا متيم

كما وصف المتنبى الخيل بدلا من الابل فى مطالع بعض قصائده ، ورحل بعض الشعراء الى ممدوحيهم على أقدامهم ، وعلى أى حال فقد انتهـى الأمر بهذا التقليـد الى الانهيار لمنافاته لروح العصور المتحضـرة التى كتب فيها الشعراء المحدثون فالبحترى وهو شاعر معروف بمحافظتـه على عمود الشعر استبدل بوصف الناقة فى بعض قصائده وصف السفينة .

وأخيرا ذهب ابن رشيق الى تحرير مطلع القصيدة من كل تقليـد فللشاعر أن يبدأ قصيدته بتجربة صادقة ويقول معللا دعوته هذه " ....لا سيما اذا كان المادح من سكان بلد الممدوح ، يراه فى أكثر اوقاته ، فما اقبح ذكر الناقة والفلاة حينئذ "(٢) وكان هذا ايذانا باختفاء المقدمة التقليدية للقصيدة العربية فى المدح لبعدها عن الحقيقة .

---

(١) المتنبى . ديوانه (مصر ١٣٥٧ هـ ـ ١٩٣٨ م) شرح البرقوقى جـ ٤ : ص ٨٩ .

(٢) ابن رشيق . العمده . جـ ١ : ص ٢٣٠ .

الفصـــــل السابع

موقف ابن قتيبة من السرقات الشعرية :

السرقات الشعرية من القضايا النقدية الهامة التي تناولها النقاد بالبحث والدراسة حتى كادت تستأثر بكل جهودهم ، فتعمقوا في دراستها ، وأخذوا يحددون ابعادها ، وتوصلوا الى نتائج لتلك الدراسات ، فأرجعوا بعض المعاني والتراكيب لاصحابها المخترعين لها ، وعرفوا أين وكيف تكون السرقة ومتى تغتفر للشاعر ، ومتى تعاب ، الى غير ذلك من البحوث والتآليف التي تناولت أساليب الاخذ ، وأنواع السرقات ، فقد عرفوا أن لكل شاعر طريقته الخاصة به في النظم ، ومعجمه الذي يدور في فلكه ، فلم يعد يخفى عليهم سارق المعاني أو الالفاظ ، كما عرفوا أن هناك معاني مشتركة بين الشعراء يستقيها بعضهم من بعض ، دون أن يكون ذلك معيبا ، فقد يتناول الشاعر معنى ما من المعاني التي طرقت قبله ، قد استقر في ذهنه ، نتيجة لاطلاعه على أساليب الشعراء ، وطرقهم ومناهجهم دون قصد منه لذلك المعنى وقد يعجب الشاعر بمعنى تناوله الشعراء قبله فيعمد الى أن يصوغه صياغة جديدة يبدع فيها أكثر من سابقيه ، فقد كان الناس يستجيدون قول الأعشى :

وكأس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها

حتى قال : أبو نواس :

دع عنك لومي فان اللوم اغراء * وداوني بالتي كانت هي الداء (١)

فزاد في معناه وعرف له فضل الزيادة فيه .

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : جـ ١ : ص ٧٣ .

وقد اشترك الشعراء فى معانى كثيرة ، استقاها بعضهم من بعض ، ولايعلم فى الارض شاعر مقدم فى تشبيه مصيب تام ، وفى معنى غريب عجيب أو فى معنى شريف كريم ، أو فى بديع مخترع ، الا وكل من جاء من الشعراء من بعده أو معه ، ان هو لم يعد على لفظه فيسرق بعضه ، أو يدعيه بأسره فانه لا يدع أن يستعين بالمعنى ، ويجعل نفسه شريكا فيه .(١)

ولا شك أنه ليس للشاعر المتأخر غنى عن تناول معانى السابقين ، شريطة الا يفسد تلك المعانى ، أو يقصر فيها عمن سبقه ، أو يأخذها بلفظها ، الا أن اعتماد الشاعر على السرقة ، يدل على بلادة حسه ، وضعف ملكته . وقد توصل النقاد ، الى أن هناك معانى قد تنكشف فيها السرقة ، وتتحقق وذلك عندما يكون المعنى المسروق مبتدعا ، ومعروفا لشاعر بعينه ، وأنه أول من وقع عليه ، كقول الاعشى :

وأرى الغوانى لا يواصلن امرأ * فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

فهذا معنى مبتكر للاعشى ، جاء أبو تمام فطرقه حيث قال :

احلى الرجال من النساء مواقعا * من كان أشبههم بهن خدودا (٢)

كما توصلوا الى أن هناك معانى لم يستطع الشعراء سرقتها ، فبقيت لمبتكريها دون أن ينازعهم فيها أحد ، كوصف عنترة للذباب (٣) ، وكقول زهير بن ابى سلمى الذى لم ينازع فيه :

فان الحق مقطعة ثلاث * يمين أو نفار أو جلاء (٤)

---

(١) الجاحظ ، الحيوان : جـ ٣ : ص ٣١١
(٢) طه احمد ابراهيم ، تاريخ النقد الادبى عند العرب : ص ١٧٢
(٣) انظر ذلك فى قضية اللفظ والمعنى
(٤) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء : جـ ١ : ص ١٤٠

على أن السرقة انما تكون فى المعانى دون الالفاظ ، لان الالفاظ يكثر تداولها على السنة الشعراء ، فهى مشاعة بينهم .

وقد كان توارد القدماء على المعانى نادرا ، بحيث يستطيع الناقد أن يحصى اكبر قدر ممكن مما أخذه بعض الشعراء من بعض ان لم يكن جميعه . أما بالنسبة للشعراء المحدثين فقد كثر تواردهم على المعانى حتى أصبح من الصعب استقصاء كل ما أخذه الشعراء المحدثون من بعضهم البعض ، وقد حاول النقاد جاهدين فى الكشف عن سرقات المحدثين ، اما ليظهر الناقد سعة اطلاعه ، واما تعصبا على بعض الشعراء فأخذوا يعنون بابراز السرقات ، فكانت سرقات أبى تمام ، التى تناولها اكثر نقاد القرنين الثالث والرابع ، وسرقات البحترى ، وأبى نواس ، وغيرهم .

ولما كانت السرقات الشعرية موضع اهتمام النقاد ، واحدى قضايا النقد الادبى ، فقد تناولها ابن قتيبة بطريقة تختلف عن منهج معاصريه وطرقهم فى بحث تلك القضية فهو لم يعرضها فى مقدمة كتاب الشعر والشعراء كغيرها من القضايا النقدية الجديرة بالاهتمام ، وانما أشار اليها اشارة موجزة فى حديثه عن الموضوعات التى ضمنها كتاب الشعر والشعراء ، حيث قال : " هذا كتاب ألفته فى الشعراء ، أخبرت فيه عن الشعراء .... وما سبق اليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون . "(١)

هذا كل ما قاله ابن قتيبة فى مقدمة الكتاب عن قضية السرقات ، حتى اذا أتى فى ترجمته للشعراء ، بدأ يعرضها فى ثنايا الكتاب عرضا

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٥٩

مقتضبا ، دل على مدى تقديره لكل معنى مبتكر لم يسبق اليه الشاعر فذكر للشعراء ما سبقوا اليه من جديد المعانى ، وما أخذه عنهم من أتى بعدهم . وهذا المنهج الى بداية السرقات ، حيث رأى أن هناك معانى سبق اليها بعض الشعراء ، فذكرها لاهلها ، ونوه بالفضل لهم فى السبق اليها ، فامرؤالقيس " أول من شبه الشعر فى لونه بشوك السيال "(١) وعدى بن زيد " أول من شبه أباريق الخمر بالظبا "(٢) فهذه المعانى أحسن فيها قائلوها ، فتيمهم فى ذلك الشعراء ، غير أن هناك معانى سبق اليها الشعراء ، ولم يحسنوا فيها فطرقها من أتى بعدهم وأبدعوا ، فاحتسب للمتأخر فضل الابداع فى ذلك فقد سبق النابغة الجعدى فى صفة الثور الى معنى لم يحسن فيه وهو قوله :(٣)

من وحش وجرة موشى أكارعه * طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد

فأراد بالفرد أنه مسلول من غمده .

ولقد تناوله الطرماح بعده فأبدع ، حيث قال يذكر الثور :

يبدو وتضمره البلاد كأنه * سيف على شرف يسل ويغمد(٤)

فهو يسل مرة ويغمد أخرى .

وهكذا يأخذ ابن قتيبة فى ضرب الامثلة التى تدل على سعة اطلاعه . الا أن الشىء الذى يلفت الانتباه عند ابن قتيبة ، أنه لم يستعمل لفظ " السرقة ، أو الاغارة

---

(١) المصدر السابق : جـ ١ : ص ١٣٣ .
(٢) المصدر السابق : جـ ١ : ص ٢٣٠ .
(٣) المصدر السابق : جـ ١ : ص ١٧٠ .
(٤) المصدر السابق : جـ ١ : ص ١٧١ .

او السلب ، كما استعملها معاصروه ، بل نراه يستعمل فى حديثه عن السرقة عبارة " ومما سبق اليه فأخذ منه " حتى ولو أسرف الشاعر فى الاخذ عن غيره ، ولم نجده يستعمل لفظ " السرقة " الا فى نص واحد ، حيث يقول : " وكان الكميت شديد التكلف فى الشعر ، كثير السرقة "(١) وهذه هى الاشارة الوحيدة التى استخدم فيها لفظ " السرقة " ولعله بذلك لا يرى لنفسه البت فى الحكم على الشاعر بالسرقة ، فلربما كان ذلك من تداعى الخواطر بين الشعراء ، فلا يعد سرقة ، وهذا ما نوه عليه فى كتابه " عيون الاخبار " حيث يقول : " قيل لبعض علماء اللغة أرأيت الشاعرين يجتمعان على المعنى الواحد فى لفظ واحد ؟ فقال : عقول رجال توافقت على السنتها "(٢)

كما نلحظ من ابن قتيبة شيئا آخر ، وهو أنه لم يقل فى الشعراء المحدثين بعد بشار " ومما سبق اليه فأخذ منه " وقد يكون ذلك لكثرة الاخذ ، وتوارد الشعراء على المعانى كثيرا ، بحيث يصعب على الناقد حصر ذلك وتمييزه .

ومما تنبه له ابن قتيبة أنه ربما اشترك شاعران فى معنى واحد وجمعهما عصر واحد حيث يكون الأمر غامضا بالنسبة للسابق منهم الى ذلك المعنى ولهذا نراه يتخذ موقفا محافظا ، فلا يقطع بذلك المعنى لواحد منهم ، وانما يرويه لهما جميعا ، من ذلك ما قاله فى بيت ربيعة بن مقروم :(٣)

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : جـ ٢ : ص ٥٨١ .
(٢) ابن قتيبة . عيون الاخبار : جـ ٢ : ص ١٨٢
(٣) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : جـ ١ : ص ٣٢٠

نصل السيوف اذا قصرن بخطونا * قدما ونلحقها اذا لم تلحق

فقد اشترك معه فى هذا المعنى قيس بن الخطيم حيث يقول :

اذا قصرت أسيافنا كان وصلها * خطانا الى أعدائنا فنضارب (١)

فاختلط الامر على ابن قتيبة أيهما كان أسبق الى المعنى ، فروى السبق اليهما جميعا ، حيث علق على بيت ربيعة بقوله : " أخذه من قيس بن الخطيم أو أخذ قيس منه . " (٢) كما أن الشاعر اذا برز فى فن من فنون القول واشتهر به ورويت له ابيات فى ذلك ، ولم يطمئن ابن قتيبة من صحة نسبتها الى ذلك الشاعر ، عمم الحكم ، دون أن يقطع بها للشاعر ، كما نبه على ذلك بقوله : " وكان المعانى يجيد وصف الفرس ، فمما أخذه ، أو أخذ منه قوله :

كأن تحت البطن منه أكلبا * بيضا صغارا ينتهشن المنقبا " (٣)

وهو بهذا الموقف المحافظ ، يعطى صورة صادقة لروح العالم الفقيه المحدث وهكذا تتضح لنا شخصية ابن قتيبة المتزنة ، فى معالجته لقضية السرقات الشعرية ، حيث أعجب بمبدأ الابتكار فى الشاعر ، وأشاد بالمعنى الذى لم يسبق اليه ، وكان قليل الاتهام للشعراء فى قضية السرقة ، يتحرى الدقة ، ويرى أن أكثر توارد الشعراء على المعانى يرجع الى تداعى الخواطر ، فلم يبالغ فى محاسبة الشعراء ، ولم يمعن فى انتقاصهم كغيره ممن شغفوا بالبحث عن معايب الشعراء ، فانهالوا عليهم بالتجريح ـ والانتقاص ، وان كانت بحوثهم تدور أكثر ما تدور حول مناقشة المعنى المفرد ـ أجديد هذا المعنى ام قديم ؟ أمبتكر أم مسروق ؟

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : جـ ١ : ص ٣٢١ .
(٢) المصدر السابق جـ ١ : ص ٣٢٠
(٣) المصدر السابق جـ ٢ : ص ٧٥٦ .

(البـــاب الثالـــث)

الشاعـــــر عنـــد ابـن قتيبـــة

(الفصـــل الأول)

ثقافـــة الشاعـــر

اهتم ابن قتيبـة بالشاعر وأولاه عناية كبيرة • فالشاعر عنده من غلـب عليه الشعـر ، وتفنن فيـه ، واشتهـر بـه ، وكأنه يـرى أن الانسان العـادى له القدرة على قول البيت والبيتين ولا يسمى شاعرا ، حيث يقول : " ولـم أعرض فى كتابى هذا لمن كان غلب عليه غير الشعر ••• لأنه قـل أحـد لـه أدنـى مسكـة من أدب ، ولـه أدنـى حظ من طبـع ، الا وقـد قـال من الشعر شيئـا • "(١)

وعلى هذا فقد ميز بين نوعين من قائلى الشعر : الشاعر وهو من وجـه كل همـه الى الشعر وتفنـن فيه ، وعرف به ، ووقع الاحتجـاج بشعـره " فى الغريب ، وفى النحو ، وفى كتاب الله عز وجـل وحديث رسول اللـه صلى الله عليه وسـلم "(٢) •

والرجل العادى الذى قال شعرا نادرا فى المناسبات ولم يكن فـى عداد الشعراء لكساد شعره ، وقلـة ذكره •

ولهذا نراه قد ترجـم للنوع الأول ، وأولاهم عنايـة كبـيرة ، وأهمـل

---

(١) ابن قتيبـة • الشعر والشعراء • جـ ١ : ص ٦٢ •

(٢) المصدر السابق • جـ ١ : ص ٥٦ •

النوع الأخير ، ولم يحفل به ، كما يدل على ذلك نصه السابق. وعنايته لمن ترجم لهم لم تقتصر على الشعراء القدامى فحسب، بل اتخذ لنفسه موقفا عادلا ، حينما انتصف للمحدثين من أنصار القديم ، اذ جعل الجودة فى الشعر مدار التفاضل بين الشعراء ، فليس لتقدم الزمن بفضل الشاعر ، ولا لتأخره ينتقص شعره وكان هذا التزاما منه بعهداً وضعه فى مقدمة كتابه ، وهو أن لا يقدم قديما لقدمه ولا يؤخر محدثا لحداثته ، ولهذا كان اهتمامه بالشاعر المحدث لاسباب فنية متصلة بطبيعة الشعر ، وقد ترجم ابن قتيبة لكثير من الشعراء المحدثين ، كبشار ، والمتنابى ، ودعبل الخزاعى ، وغيرهم كوان كان قد اهمل شاعرين كبيرين ملأ الدنيا بشعرهما ، هما البحترى وأبو تمام (١) .

ولم يقف اهتمامه بالشاعر عند هذا الحد ، بل تعداه الى أن قسم الشعراء الى متكلفين قوموا شعرهم بالثقاف ، ونقحوه بطول الروية ، كزهير بن ابى سلمى ، والحطيئة ، وأشباههما .

والى مطبوعين ، استسلموا لخواطرهم الاولى ، فابتعدوا عن الكد ، واعادة النظر فى شعرهم (٢) .

وليس بعيدا على ابن قتيبة الذى اتجه فى اكثر نقده الى الشاعر ، واهتم به ذلك الاهتمام أن يعالج ما يحتاجه الشاعر ، من ثقافة تمكنه من أن يقف على أرض صلبة فى ميدان الشعر ، ولهذا نجد مهتم بالثقافة السماعية ، لأن ـ

(١) انظر تفصيل ذلك فى قضية القديم والحديث.
(٢) انظر فى ذلك فصل المتكلف والمطبوع.

الشعر عنصر سماع ،ودراسة يتوقف عليه ثقافة الشاعر والناقد على السواء .

فالشاعر فى حاجة الى اطلاع واسع على اساليب الكلام العربى لينمى مداركه ويوسع ثقافته حتى ينفتح له باب الشعر على مصراعيه بالدربه والممارسة .

وابن قتيبه خص الثقافة السماعية بالاهتمام ، لان الشعر احوج العلوم بعد علم الدين الى السماع . " لما فيه من الالفاظ الغريبة واللغات المختلفة ، والكلام الوحشى ، وأسماء الشجر ، والنبات ، والمواضع والمياه ."(١)

كما نبه ابن قتيبه الى فساد الثقافة المستمدة من الدفاتر والصحف وقلة فائدتها ،لكثرة ما فيها من التحريف والتصحيف ،من ذلك ما رواه المصحفون ، والآخذون عن الدفاتر فى قول الشاعر :

زوجك يا ذات الثنايا الغر * الرتلات والجبين الحر(٢)

يقال : " الثغر الرتل " اى المفلج . وقد رواه المصحفون "الربلات بالباء المفتوحة ، وهى أصول الفخذين . يقال (٣) رجل أربل " اذا كان عظيم الربلتين "أى عظيم الفخذين" . ولا شك أن قارئ الشعر ،شاعرا كان أو غير ذلك ، يحتاج الى ثقافة لغوية ونحوية ،كما يحتاج الى دراسة الاحداث التاريخية ،ومعرفة طبيعة البيئة التى ظهر فى ربوعها ذلك الشعر الذى يقرأه .

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . جـ ١ : ص ٨٢ .
(٢) المصدر السابق . جـ ١ : ص ٨٤ .
(٣) المصدر السابق . جـ ١ : ص ٨٤ .

غير أن نظرة ابن قتيبة الى الثقافة السطحية المتصلة باللغة نظرة قاصرة، لان اللغة وحدها لا تمثل كل الجوانب الثقافية التى لابد للشاعر من التزود بها . " فالشاعر مأخوذ بكل علم " (١) فهو فى حاجة الى رواية الأشعار ، والاخبار ، ومعرفة الانساب وأيام العرب ، وتعلم العروض والنحو وكل ماله علاقة بصناعة الشعر ليثمى مداركه ويوسع ثقافته .

---

(١) ابن رشيق . العمده . جـ ١ : ص ١٩٦ .

الفصل الثاني

علاقة الحالات النفسية بالشعر

يشترك الشعراء جميعا في الطاقة الشعرية على اختلاف طبقاتهم. الا أن اشتراكهم فيها على درجات تختلف قربا وبعدا حسب استجابتهم للاشياء التي يريدون التعبير عنها . وقد كانوا قديما يرون أن هناك الهاما ينزل على الشعراء مصدره شياطين الشعر ، فقد زعموا أن لكل شاعر شيطانا ينفث في روعه الشعر ، وقالوا ان شيطان الاعشى كان يدعى مسحلا (١) ، وأن عمرو بن قطن كانت لمتابعة من الجن اسمها جهنام ، وقد كانت بين هذين الشاعرين مهاجاة وفي ذلك يقول الأعشى :

دعوت خليلي مسحلا ودعوا له * جهنام جدعا للهجين المذمم (٢)

وقد يكون مصدر هذا الزعم من أن الشياطين تنزل على الشعراء أنهم فسّروا ما ينزل بالشاعر من حالات نفسية تلم به في حالة نظمه الشعر بأنه في فترة الهام من شياطين الشعر ،

غير أن هذا الفهم للايحاء الشعري كسدوا نتهى لتحرر العقلية العربية وتشبعها وصقلها بتعاليم الاسلام . فقد أخذ نقاد العرب القدامى ينبهون للحالات النفسية وأثرها البين في نتاج الشاعر .

---

(١) انظر د. شوقي ضيف . تاريخ الادب العربي " العصر الجاهلي " (مصر ١٩٦٠) ص ١٩٧

(٢) المرزباني . معجم الشعراء . (مصر ١٣٧٩ـ١٩٦٠م) ص ٥٧ .

فقد أوصى بشر بن المعتمر الأديب باستغلال الوقت المناسب حيث قال : : " خذ من نفسك ساعة نشاطك ، وفراغ بالك ، واجابتها اياك فان قليل تلك الساعة أكرم جوهرا ، وأشرف حسبا ، وأحسن فى الاسماع وأحلى فى الصدور ، وأسلم من فاحش الخطأ ، وأجلب لكل عين وغرة من لفظ شريف ومعنى بديع . واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الاطول بالكد والمطاولة والمجاهدة والتكلف والمعاودة (١) . " واذا كان بشر يتكلم عن النثر لا عن الشعر فان مما لا شك فيه أن ساعة النشاط يسرق فيها الطبع ، ويصفو المزاج ، وهى لذلك تعين على الشعر فقد يكون فيها من ينابيع الايحاء ما يحرك الشاعر المبدع فيصل الى بغيته ويكون ذلك أجدى من عمل اليوم الاطول المتسم بالكد ومجاهدة القريحة .

وعلى هذا أدرك النقاد العرب أن هناك امورا يجب أن تسبق قرض الشعر أى أن هناك مرحلة اعداد للشاعر قبل أن يقدم على صناعته من تلك الامور : أن ينشأ الشاعر بين فئة من الفصحاء المستعملين للشعر ، وأن يعيش فى بيئة معتدلة الهواء ، ذات مناظر جميلة ممتعة ، تربطه بها

---

(١) الجاحظ . البيان والتبيين جـ ١ : ص ١٦٣

روابط وذكريات قوية الصلة بنفسه (١).

كما ادركوا أن للشعراء طرقا يشحذون بها قرائحهم ويستجلبون بها الشعر (٢)، وتلك الطرق تختلف من شاعر لاخر، وتتباين فيما بينها فمنها ما يطرب له الشاعر، كآثار الديار المثيرة للذكريات السعيدة التي لم تزل ماثلة في خياله، وكامنة في حنايا نفسه، ومنها ما يترتب عليه آمال الشاعر وتطلعاته وغير ذلك من الطرق المتعددة التي لا نستطيع حصرها.

وكذلك تنبهوا لأوقات قرض الشعر، فرأوا أن بعض الاوقات أدعى الى قول الشعر من بعض كتلك التي ينعزل فيها الانسان عن مشاغله ويرتاح لها نفسيا، ويستجمع فيها فكره بحيث يسمح له بالشعر.

وعرفوا أن هناك فترة ركود تعرض لكل شاعر في بعض الاوقات كما أحس بذلك الشعراء ايضا، فقد كان الفرزدق يقول: " أنا أشعر تميم عند تميم وربما أتت على ساعة ونزع ضرس أسهل علي من قول بيت "(٣).

وعلى هذا الاساس يتضح لنا عاطفية الشعر لخضوعه لبعض العوامل المزاجية اذ لو كان الشعر عقليا لكان من الممكن أن يقال في كل وقت ولذلك كانت دوافع الشعر عاطفية وليست عقلية.

---

(١) انظر: القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ص ٤٠
(٢) انظر: ابن رشيق: العمدة: جـ ١: ص ٢٠٥
(٣) ابن قتيبة: الشعر والشعراء جـ ١: ص ٨١ وانظر الجاحظ: البيان والتبيين جـ ١: ص ٢٣٣.

هذا وقد تناول النقاد العرب الحديث عن بواعث الشعر ومهيئاته وعلاقته بقائله ، وتأثره بمزاجه وظروفه ، كل ذلك في شيء من الدقة والايجاز ، وعدم التعليل أحيانا . فقالوا : أشعر الناس" امرؤ القيس اذا ركب ، وزهير اذا رغب ، والنابغة اذا رهب ، والاعشى اذا شرب "(١) وبذلك رأوا أن لكل واحد منهم استجابات نفسية معينة فهذا امرؤ القيس يشحذ قريحته بركوب الخيل ومطاردة الصيد ، وهذا زهير تدفعه الرغبة الى مقدمة الشعراء وكان أجود شعر النابغة اعتذارياته أما الاعشى فتفيض ينابيع شعره في حالة سكره .

وقد حاول ابن قتيبة أن يتناول تلك الحالات النفسية وعلاقتها بالشعر بشيء من التفصيل ، ومثل لها بأمثلة طريفة ، أقرب الى الموضوعية ورأى أن العمل الادبي انما هو استجابة معينة لمؤثرات نفسية خاصة وعلى هذا الاساس تناول القضية من ثلاث جوانب :

أولا : من جانب البواعث النفسية التي تحث البطيء ، وتبعث المتكلف حيث قال : " وللشعر دواع تحث البطيء وتبعث المتكلف ، منها الطمع ومنها الشوق ، ومنها الشراب ، ومنها الطرب ، ومنها الغضب "(٢) وقد ضرب لنا مثالا طريفا على دافع الطمع اذ يقول : " وقيل للحطيئة أي الناس أشعر فأخرج لسانا دقيقا كأنه لسان حية ، فقال : هذا اذا طمع "(٣) ولهذا يرى أن الطمع أقوى دواعي الشعر ، وأن تفوق الشاعر

---

(١) ابن رشيق . العمدة : جـ ١ : ص ٩٥ .
(٢) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : جـ ١ : ص ٧٨ .
(٣) المصدر السابق : جـ : ص ٧٩ .

مرهون ببراعته فى المدح " وهذه عندى قصة الكميت فى مدحه بنى أمية وآل أبى طالب ، فانه كان يتشيع وينحرف عن بنى أمية بالرأى والهوى وشعره فى بنى أمية أجود منه فى الطالبيين . ولا أرى علة ذلك الا قوة أسباب الطمع وايثار النفس لعاجل الدنيا على آجل الاخرة . "(١)

على أنك تلمس اثر التفاوت(٢) فى شعر الشاعر الواحد تبعا للحالات النفسية التى يمر بها ، وقد رأى ابن قتيبه هذا التفاوت عندما كان الشاعر يتنازعه أمران " الرجاء والوفاء " فقد ظهر التفاوت جليا فى شعر الخريمى تبعا لتفاوت قوة الحافزين لديه ،فقد قال له احمد بن يوسف الكاتب " مدائحك لمحمد بن منصور بن زياد ، يعنى كاتب البرامكه ، أشعر من مراثيك فيه وأجوده ؟ فقال : كنا يومئذ نعمل على الرجاء ونحن اليوم نعمل على الوفاء وبينهما بون بعيد ."(٣) فقد كان دافع الرجاء أقوى فعاليتمن دافع الوفاء . وعلى هذا يقترن تفوق الشاعر بمدى قوة الدافع اذ رأينا أن الشاعر باستطاعته أن يبرز بدافع الطمع . ولو لم يعبر عن معاناة وجدانية صادقة ،حتى أن الشاعر فى حالة تجرده من بعض تلك الدوافع يبتعد عن قول الشعر فيصعب عليه فقد " قال عبد الملك بن مروان

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : جـ ١ : ص ٧٩ .

(٢) نسب الاصمعى التفاوت فى شعر حسان الى الموضوع نفسه حيث قال : " الشعر نكدبا به الشر فاذا دخل فى الخير ضعف ،هذا حسان ابن ثابت فحل من فحول الجاهليه فلما جاء الاسلام سقط شعره " ابن قتيبة الشعر والشعراء : جـ ١ : ص ٣٠٥.
اما ابن سلام فانه يرى أن خصب البيئة ليس له علاقة بكثرة الشعر ، فتقيف مواطنهم خصبة وشعرهم قليل وانما يكثر الشعر بالحروب . انظر ابن سلام جـ١ :ص ٢٥٩ وقد كان ابن قتيبه أدق منهما فهما لانه ذهب الى التعليل النفسى فى ذلك التفاوت. (٣) ابن قتيبه . الشعر والشعراء :جـ١ص٧٩

لأرطاة به سنهية : هل تقول الآن شعرا ؟ فقال : كيف أقول وأنا ما أشرب ولا أطرب ولا أغضب ، وانما يكون الشعر بواحدة من هذه "(١) غير أن تلك الدوافع النفسية المتمثلة فى الطمع والشوق والشراب والغضب وغيرها قد يصيبها الركود احيانا فلا يثيرها الا بعض الحوافز الاخرى التى تنمى فيها القابلية لقول الشعر اذا عسر بابه ، مثل المناظر الطبيعية الجميلة والمياه الجارية والهواء المعتدل ، والمكان المرتفع . " قيل لكثير يا أبا صخر كيف تصنع اذا عسر عليك قول الشعر ؟ ـ قال : أطوف فى الرباع المخلية ، والرياض المعشبة ، فيسهل على أرضه ويسرع الى أحسنه ."(٢) " ويقال ايضا : انه لم يستدع شارد الشعر بمثل الماء الجارى والشرف العالى والمكان الخضر الخالى ."(٣)

ثانيا : من جانب علاقة الشاعرية بالزمن . فهناك أوقات لها تأثير على قول الشعر وعلى مزاج الشاعر يسمح فيها الشعر الشارد ، وتنثال فيها المعانى المبتكرة ، والالفاظ المذبة ، فيرق شعر الشاعر ، ويصفو مزاجه ، وقد أدرك ابن قتيبه ذلك التأثير الزمنى فى الشعر حيث يقول : " وللشعر اوقات يسرع فيها أتيه ، ويسمح فيها أبيه . منها أول الليل قبل تغشى الكرى ومنها صدر النهار قبل الغداء ، ومنها يوم شرب الدواء ، ومنها الخلوة فى الحبس والمسير ."(٤) وقد ذهب الى أدق من

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : جـ ١ : ص ٨٠
(٢) المصدر السابق : جـ ١ : ص ٧٩
(٣) المصدر السابق : جـ ١ : ص ٧٩
(٤) المصدر السابق : جـ ١ : ص ٨١

ذلك حيث رأى أن أشعار الشاعر ورسائل الكتاب تختلف باختلاف تلك الملل بحيث لا تكون فى مستوى فنى واحد ، وقد علق عليها بقوله : " ولهذه الملل تختلف أشعار الشاعر ورسائل الكتاب "(١) .

على أن ابن قتيبه قد تنبه ايضا لتلك الحالات النفسية والجسمية التى تمنع من قول الشعر أو النثر على السواء فكما أن للشعر أو قائلا يسرع فيها فان له ايضا أوقاتا " يبعد فيها قريبه ، ويستصعب فيها ريضه . وكذلك الكلام المنثور فى الرسائل والمقامات والجوابات ، فقد يتعذر على الكاتب الاديب . وعلى البليغ الخطيب . ولا يعرف لذلك سبب الا أن يكون من عارض يعترض على الغريزة من سوء غذاء أو خاطر غم "(٢) فالطعام الطيب والمسرة من دواعى استجلاب الشعر والكلام المنثور الذى لا يلحقه وزن ولا قافية ، فاذا انعكست تلك الدوافع اصبح الشعر كنزا لا خير فيه ، وعلى هذا فان الفائدة الفنية لا تتم الا " اذا كانت الغريزة مواتية والطبيعة قابلة والحس منقادا "(٣) .

مما تقدم نرى أن ابن قتيبة قد عالج فى الجانبين السابقين بعض النواحى النفسية فى الشعر ، فحاول أن يقف بنا على تلك الدوافع النفسية وما ينتج عنها من أثر على قدرة الشاعر على الابتكار أو قصوره عنه ، وعلى ما يعرض للغريزة من حالات تجعلها تسمح بالشعر احيانا ولا تسمح به فى بعض الحالات .

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : جـ ١ : ص ٨١
(٢) المصدر السابق : جـ ١ : ص ٨٠ ـ ٨١
(٣) ابن قتيبة . عيون الاخبار : جـ ١ : المقدمة . ص ك

ثالثا : من جانب مراعاة الحالة النفسية في الجمهور : ويتمثل هذا الجانب في تعليل ابن قتيبه لبناء القصيدة العربية ـ حيث جاء بتبرير نفسي لبناء القصيدة العربية ، فرأى أن لتلك المقدمة الغزلية وظيفة نفسية فقد اكتسبت شحنة عاطفية اكسبتها الثبات والاستقرار في النفوس ، كما أن مبدأ التناسب بين أجزاء القصيدة يوحي باشراك السامعين في عاطفة الشاعر بحيث يكون السامع مشدود الانتباه وينتقل مع الشاعر من جزء الى آخر دون ملل أو كلال ، هذا اذا كانت أجزاء القصيدة متناسبة في الطول ممتدلة الاقسام فلا يطيل الشاعر في قسم منها دون الاخر فيمل السامعين ولا يوجز وبالنفوس ظمأ الى المزيد ، وعلى هذا رأوا أن ذا الرمة انما تأخر عن ركب الفحول لانه كان يسهب في الوقوف بالديار ، ويطيل في وصف الرحلة ، حتى اذا اتى الى المديح فترت النفوس ، وملت الاستماع فلم تكن طريقته تلك موفقة من الوجهة النفسية .

ومما فطن له ابن قتيبة ايضا رجوع القارئ الى نفسه وتأمل حالها عند انشاد الشعر ، وما يثيره ذلك فيها من الارتياح والاستجابة لذلك الشعر حيث يقول : " أشعر الناس من أنت في شعره حتى تفرغ منه "(١) .

ولذلك نرى أن كل تأثير في نفوس السامعين منشؤه العمل الادبي ذاته بما يحدثه في تلك النفوس من استجابات معينة .

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : جـ ١ : ص ٨٢ .

الفصل الثالث

" تقويم الشعراء "

ترجم ابن قتيبة لمائتين وستة من الشعراء ، وروى الكثير من أخبارهم وقدم فى ثنايا تلك التراجم نماذج كثيرة من شعرهم ، كما أورد بعض الاحكام النقدية عليهم . وعلى شعرهم ، معللا لبعض الظواهر الأدبية التى برزت فى شعرهم .

الا أن تلك الاحكام النقدية التى عرضها فى ثنايا كتاب الشعر والشعراء قد نقل أكثرها ان لم يكن جميعها عن العلماء السابقين له ، دون أن يشير الى من نقل عنهم تلك الاحكام أحيانا ، من ذلك ما أخذه عن ابن سلام فى تعليل لين شعر عدى بن زيد بأنه " كان يسكن بالحيرة ويدخل الأرياف فثقل لسانه واحتمل عنه شئ كثير جدا وعلمائنا لا يرون شعره حجة . " (١) ونقل عن الاصمعى قوله فى حسان بن ثابت : " الشعر نكد بابه الشر ، فاذا دخل فى الخير ضعف ، هذا حسان بن ثابت فحل من فحول الجاهلية فلما جاء الاسلام سقط شعره . " (٢) فالاصمعى ينسب ظاهرة التفاوت فى شعر حسان الى الموضوع .

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . جـ ١ . ص٢٢٥ . وانظر ابن سلام . جـ١ ص ١٤٠

(٢) المصدر السابق : جـ١ : ص ٢٠٥

وقد تنبه ابن قتيبة الى أن هناك خصائص جزئية تبرز أحيانا في شعر الشاعر بحيث تلقى الضوء على التصاق تلك الجزئيات بحياة الشاعر ، وسجل في حديثه عن الشعراء بعض تلك الجزئيات فزهير ابن ابى سلمى كان " يتأله ويتعفف في شعره ، ويدل شعره على ايمانه بالبعث . وذلك قوله :

يوخر فيودع في كتاب فيدخر * ليوم الحساب أو يعجل فينقم (١)

وقد أشار الى ظاهرة البؤس في شعر تأبط شرا (٢) .

أما الشماخ بن ضرار فانه " أوصف الشعراء للحمير . وأرجز الناس على بديهة " (٣) كما رأى أن عمرو بن معد يكرب الزبيدى " احد من يصدق عن نفسه في شعره قال :

ولقد اجمع رجلي بها * حذر الموت واني لفرور
ولقد أعطفها كارهة * حين للنفس من الموت هرير
كل ما ذلك مني خلق * وكل أنا في الروع جدير (٤)

وأن عمرو بن قميئة " ممن أنصف في شعره وصدق " (٥)

أما أبو نواس فغزله " ضعيف مشاكل لطبائع النساء " (٦)

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : جـ ١ : ص ١٣٩
(٢) المصدر السابق جـ ١ : ص ٣١٢
(٣) المصدر السابق جـ ١ : ص ٣١٧
(٤) المصدر السابق جـ ١ : ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤
(٥) المصدر السابق جـ ١ : ص ٣٧٧
(٦) المصدر السابق جـ ٢ : ص ٧٩١ .

وقد أشار ابن قتيبة الى أنه من الممكن اشتراك اكثر من شاعر فى جزئية واحدة . فأبو دؤاد الايادى " أحد نعات الخيل المجيدين . "(١) ـ وقد رأى الاصمعى أن هناك ثلاثة من الشعراء اشتهروا بتلك الجزئية وهم : " أبو دؤاد الايادى فى الجاهلية وطفيل الغنوى والنابغة الجعدى . "(٢)

ولم يكتف ابن قتيبة بايراد مثل تلك الجزئيات التى تلقى الضوء على جانب من جوانب العمل الادبى ، بل أورد بعض الاحكام النقدية العامة التى نظرت الى انتاج الشاعر بأكمله فكشفت مكانته الأدبية بين الشعراء فامرؤ القيس قد سبق " الى أشياء ابتدعها ، واستحسنها العرب ، واتبعه عليها الشعراء ، من استيقافه صحبه فى الديار ، ورقة النسيب وقرب المأخذ . "(٣)

أما الحطيئة فقد قال عنه زهير بن ابى سلمى : " ما رأيت مثله فى تكفيه على أكتاف القوافى ، وأخذه بأعنتها حيث شاء ، من اختلاف معانيها ، امتداحا وذما . "(٤)

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . جـ ١ : ص ١٣٨
(٢) المصدر السابق : جـ ١ : ص ١٣٨
(٣) المصدر السابق : جـ ١ : ص ١١٠
(٤) المصدر السابق : جـ ١ : ص ١٤٣ ـ ١٤٤ .

ونقل ابن قتيبة عن أبى عبيدة قوله فى النابغة الذبيانى ـ أنه كان أوضع الشعراء " كلاما ، وأقلهم سقطا وحشوا ، وأجودهم مقاطع ، وأحسنهم مطالع ، ولشعره ديباجة ، ان شئت قلت : ليس بشعر مؤلف من تأنيقه ولينه ، وان شئت قلت : صخرة لو رديت بها الجبال لأزالتها "(١) وذكر أبو عبيدة عن ابن عمرو بن العلاء قال : كان عدى بن زيد فى الشعراء بمنزلة سهيل فى النجوم ، يمارضها ولا يجرى مجاريها "(٢) لانه رأى أن القدرة الشاعرية عنده لا تمكنه من أن يسير فى ركب الشعراء . اما المرجئ فقالوا عنه : " انه اشعر بنى أمية "(٣) وهذه الاحكام العامة شاملة لكثير من الخصائص الفنية التى تتمثل فى مناهج الشعراء ، وانتاجهم الأدبى بصفة عامة ، وهى أحكام مبنية على نظرة فاحصة مستوعبة .

اما الحديث عن الشعراء على أساس تصنيفهم الى فئات حسب اتجاهاتهم المختلفة فهو ما أشار الى جانب منه ابن قتيبة ، حيث فرق بين نوعين من الشعراء ، شعراء الصنعة المحمودة فى الشعر ، وهؤلاء هم الذين اتخذوا لأنفسهم منهجا خاصا فى تهذيب الشعر ، وتنقيحه ، ومثلوا اتجاها واحدا فى الشعر ، كزهير والحطيئة وأشباههما .

وشعراء الطبع الذين استسلموا لخواطرهم الاولى ، وقد أشار ابن قتيبة الى بعض اصحاب هذا المذهب الاخير ، كبشار ، وأبى العتاهية ، وأبى نواس .

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . جـ ١ : ص ١٦٨
(٢) المصدر السابق جـ ١ : ص ٢٣٠
(٣) المصدر السابق جـ ٢ : ص ٥٧٤ .

واذا كان نقاد العرب قد وازنوا بين الشعراء القدماء والمحدثين - بصفة عامة ، ففضل بعضهم شعر القدماء ، وأعرض عن شعر المحدثين ، فان نقاد القرن الثالث الهجرى نظروا بعين الانصاف الى الفريقين ، وكان من بينهم ابن قتيبة الذى تمثل موقفه فى الانتصاف للمحدثين من انصار القديم .

أما التقويم القائم على الموازنة بين شاعرين ، أو بين نصين مفردين ، فلم يتعرض له ابن قتيبه .

وقد أشار ابن قتيبة الى عملية الربط بين الشعراء المتقدمين والشعراء المتأخرين ، وهى فكرة وجدت عند ابن سلام قبله ، ونظرت الى أن بعض الشعراء المتأخرين احتذى فى منهجه بعض طرق الشعراء المتقدمين ، مما جعل الشبه بينهم واضحا فكان جرير *يشبه من شعراء الجاهليه بالاعشى .(١)* وكان الفرزدق يشبه من شعراء الجاهلية بزهير .(٢) أما العباس ابن الاحنف فكان *صاحب غزل ويشبه من المتقدمين بعمر بن ابى ربيعة .(٣)*

وبذلك نرى أن ابن قتيبة فى تقويمه الشعراء قد القى الضوء على بعض الخصائص الفنية التى تتمثل فى مناهج الشعراء ، وعلل لبعض الظواهر الأدبية التى برزت فى شعورهم . وعلى هذا فقد تخللت تراجم الشعراء مادة نقدية قيمة .

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . جـ ١ : ص ٤٦٥ .
(٢) المصدر السابق . جـ ١ : ص ٤٧٦ .
(٣) المصدر السابق . جـ ٢ : ص ٨٢٧ .

خاتمـــــة البحـــــث

تناولت فى هذه الدراسة نشأة ابن قتيبة وحياته وآثاره ، وقدمت صـــــورة واضحـــة للاتجاهات النقديـــة فى القرن الثالث الهجرى ، ولقد اقتضـــــى الحديث عن النقد الأدبـــى فى القرن الثالث بعض الوقوف على أهم الخطـــوات التى خطاها النقد العربى منذ العصر الجاهلى حتى القرن الثالث لأن تلـــك الخطوات النقديـــة كانت من العناصر التى قام عليها النقد فى هذا القرن ، كمـــا أن ذلك قد كشف جهود ابن قتيبه فى ميدان النقد العربى عندما تصدى له وألـــف فيـــه .

ولقد برزت شخصية ابن قتيبة الناقد فى تلك المقدمة القيمة التى صدر بهـــا كتاب " الشعر والشعراء " حيث عرض فيها كل ما جاء به من آراء نقديـــــة دلت على منهجـه التوفيقـى فى ميدان النقد الادبـى بوجـه عام وصورت موقفـــه من الشعر من خلال معالجتـه لأهم القضايا النقديـة التى تناولها النقاد بعده .

وكان من أهم لفتاته الفنية حديثه عن لغة الشعر . فقد حرص على فصاحـــة لغـة الشعر والارتقاء بها عن سقط الكلام وحوشيه وغلظته .

كما شارك النقاد فى تخليص الشعر مما قد يعلق به من العيوب التى تقلـــل من قيمته الفنيـة ، فحاول أن يبرز العيوب الشكلية وأثرها فى العلاقات الاعرابيـــة وما تحدثه فى الأوزان من اختلال يفقد الشعر رونقه وجمالـه .

كما تحدث عن قضيـة اللفظ والمعنى ، وقسم الشعر على هذا الأساس الى أربعة أضرب مقررا أن ركـنى الشعر هما اللفـظ والمعنى وقد عالجهما مقترنين فـــى النص الادبـى لا يحكم عليه بواحـد منهما دون الآخر ، غير أن أحكامه فى تلـــك

القضيـــة كانت قائمة على أساس منطقـــى غير فنى ، لأنه حاول أن يجعل للشعر قواعد مستمدا حكمـه من بيت أو بيتين أو ثلاثة أبيات (١).

كما أراد أن يجعل اللفظ فى خدمة المعنى أحيانا ، وذلك فى حديثـــه عن القسم الثانى من أقسام الشعر ، حيث حكم على قيمة الشعر من خلال الدلالـة المعنوية ، دون أن ينظـر الى الركن الثانى الذى يمثله اللفظ ، ولذلـــــك تخبـط فى قضية العلاقة بين اللفـظ والمعنى .

وقد تنبه الى أن اللفظ والمعنى ليسا كل شىء فى الشعر وأن هناك أمورا أقرب الى روحـه فتحدث عن الوجوه التى يختـار عليها الشعر ويحفظ متخذا ـ الجودة فى اللفظ والمعنى أساسا للمفاضلة بين الشعراء .

غير أنه قد أتى بعوامل وأسباب اخرى لاختيار الشعر غير عامل الجـــودة فى الالفاظ والمعانى وقد فقدت تلك العوامل والاسباب العنصر الموضوعـــــى الذى يبنى عليه الاستحسان والحفظ والاختبـار (٢).

ثم تناول ابن قتيبة قضيـة المتكلف والمطبوع من الشعر وبين امـــــارات الشعر المتكلف فأجاد . وكانت خطوته تلك موفقة تدل على قدرته الادبيـــــة

---

(١) انظـر فـى ذلك فصـل قضيـة اللفـظ والمعنى من هذا البحـث.
(٢) انظر فصل دواعى حفظ الشعر واختياره من هذا البحـث.

وسعة علمه حيث جعل تلك الامارات واضحة يعرفها كل من له علاقة بصناعة الشعر ، كما أصاب في بيان خصائص الشعر المطبوع ، لكنه عندما أراد أن يطبق نقده ومفهومه للشعر المطبوع أخطأه التوفيق ولم يحالفه الحظ حيث اورد اكثر من شاهد دلت على انعدام الذوق في نقده التطبيقي ، من ذلك استشهاده بأبيات ابن مطير في وصف المطر (١) ، اذ لم يصدر الشاعر عن ذلك الطبع الذي تحدث عنه ابن قتيبة وبين خصائصه .

وقد حدد ابن قتيبة موقفه من قضية القديم والحديث في الشعر فقرر أنه يقدر الشعر بمقدار بلاغة القول بصرف النظر عن سائر الاعتبارات الاخرى ، وكان موقفه في ذلك يتمثل في الانتصاف للحديث من انصار القديم .

كما ابدى اهتمامه بضرورة التناسب بين أجزاء القصيدة الواحدة مع مراعاة حالات المستمعين النفسية ، فالشاعر المجيد من عدل بين أقسام القصيدة " فلم يجعل واحدا منها أغلب على الشعر ولم يطل فيمل السامعين ولم يقطع بالنفوس ظمأ الى المزيد "(٢) .

ولما كانت السرقات الشعرية احدى قضايا النقد العربي فقد تناولها ابن قتيبة بطريقة تختلف عن منهج معاصريه وطرقهم في بحث تلك القضية . فقد عرضها في ثنايا كتاب الشعر والشعراء عرضا مقتضبا دل على ذلك على مدى تقديره

---

(١) انظر تفصيل ذلك في فصل المتكلف والمطبوع من هذا البحث .
(٢) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . جـ ١ : ص ٧٦ .

لكل معنى مبتكر لم يسبق اليه الشاعر.

وكما تحدث ابن قتيبة عن الشعر تحدث ايضا عن الشعراء ، ونلمس من دراسته للشعراء انه تناول فى تلك الدراسة جانبين مهمين ، أولهما الجانب العلمى : حيث ذكر أنه تناول المشهورين من الشعراء " الذين يقع الاحتجاج بأشعارهم فى الغريب وفى النحو وفى كتاب الله عز وجل ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "(١).

والجانب الثانى فنى يتمثل فى ترجمته للشعراء المحدثين الذين لا يقع الاحتجاج بأشعارهم وتقديره الشعر من ناحية جودة الكلام.

وقد اهتم ابن قتيبة بالشاعر وأولاه عناية كبيرة ، فعالج ما يحتاجه من ثقافة تمكنه من أن يقف على أرض صلبة فى ميدان الشعر وتناول الحديث عن الحالات النفسية للشاعر وأثرها فى شعره ، وتكلم عن المؤثرات والحوافز التى تدفع الشاعر الى القول وذكر العوامل التى تعوقه عنه ، وتحدث عن علاقة الشاعرية بالأزمنة والامكنة ، وأدرك تفاوت الشعراء فى الطاقة الشعرية.

وقد ترجم ابن قتيبة فى كتاب الشعر والشعراء لعدد كبير من الشعراء وتخللت تلك التراجم مادة نقدية قيمة ، فقد علل لبعض الظواهر النقدية التى برزت فى شعر الشعراء ، وبين بعض الخصائص الفنية التى تتمثل فى مناهج الشعراء.

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . جـ ١ : ص ٥٩.

" فهرس المراجع "

— ابن الأثير ، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي الشافعي ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (القاهرة ١٣٥٤ — ١٩٣٥ م) .

— ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني .

١ — الكامل في التاريخ ، (بيروت ١٣٨٥هـ — ١٩٦٥م)

٢ — اللباب في تهذيب الانساب ، (مصر ١٣٥٦هـ) .

— د . احسان عباس .

تاريخ النقد الأدبي عند العرب من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري .

(بيروت ١٣٩١هـ — ١٩٧١م) .

— د . أحمد أحمد بدوي ، أسس النقد الأدبي عند العرب ، (القاهرة ١٣٨٤هـ — ١٩٦٤م) .

— أحمد أمين .

١ — ضحى الاسلام ، (مصر ١٣٧٥هـ — ١٩٥٦م)

٢ — النقد الأدبي ، (بيروت ١٣٨٧هـ — ١٩٦٧م)

— الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد ، تهذيب اللغة ، (مصر ١٣٨٤ — ١٩٦٤م) .

— أسامه بن منقذ ، البديع في نقد الشعر ، (مصر ١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠م) .

— الأصبهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأموي ، الأغاني (بيروت تصوير ١٩٥٩م) ، و (طبعة مصر ١٣٧١ — ١٩٥٢م) .

— الآمدي ، أبو القاسم الحسن بن بشر ، الموازنة بين الطائيين (مصر ١٣٨٠هـ — ١٩٦١م) .

— ابن الانبارى . أبو البركات عبد الرحمن بن محمد . نزهة الألباء فى طبقات الأدباء . (مصر ١٣٨٦هـ — ١٩٦٧م) .

— الباقلانى . أبو بكر بن الطيب . اعجاز القرآن (القاهرة ١٩٦٣ م) .

— البحترى . الوليد بن عبيد بن يحيى . ديوانه . (مصر ١٣٢٩هـ — ١٩١١م) .

— د . بدوى طبانه . قدامة بن جعفر والنقد الأدبى (مصر ١٣٨٩هـ — ١٩٦٩م) .

— بروكلمان . كارل بروكلمان . تاريخ الأدب العربى . (مصر ١٩٦٨م) .

— البستانى . فؤاد أفرام البستانى . دائرة المعارف . (بيروت ١٩٦٦م) .

— البغدادى . اسماعيل باشا . هدية العارفين . (طبعة بالاوفست إيران ١٣٨٧هـ)

— البغدادى . عبد القادر بن عمر . خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (تصوير بيروت بدون تاريخ) .

— ابن تغرى بردى . جمال الدين أبو المحاسن يوسف . النجوم الزاهرة فى أخبار ملوك مصر والقاهرة (مصر ١٣٥١هـ — ١٩٣٢م) .

— ابن تيمية . أحمد بن عبد الحليم . تفسير سورة الاخلاص . (مصر ١٣٥٢هـ) .

— الجاحظ . أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب .

١ — البيان والتبيين . تحقيق السندوبى . (القاهرة ١٣٧٥هـ — ١٩٥٦م)

٢ — الحيوان . تحقيق عبد السلام هارون . (مصر ١٣٨٥هـ — ١٩٦٥م) .

— الجرجانى . عبد القاهر .

١ — أسرار البلاغة (استانبول ١٩٥٤م)

٢ — دلائل الاعجاز . (مصر ١٣٨٩هـ — ١٩٦٩م) .

— الجمحى . محمد بن سلام . طبقات فحول الشعراء (القاهرة ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤م) .

— الجندى . عبدالحميد سند . سلسلة أعلام العرب ٢٢ . (مصر ١٩٦٣م)

— الجهشيارى . أبو عبدالله محمد بن عبدوس . كتاب الوزراء والكتاب (القاهرة ١٣٥٧هـ — ١٩٣٨م) .

— ابن الجوزى . على بن عبدالرحمن . المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم . (حيدرأباد . ١٣٦٠هـ) .

— الخطيب البغدادى . أبو بكر أحمد بن على . تاريخ بغداد . (مصر ١٣٤٩ هـ — ١٩٣١م) .

— ابن خلدون . عبدالرحمن بن محمد . المقدمة . (طبعة مصرية بدون تاريخ) .

— ابن خلكان . شمس الدين احمد بن ابراهيم الشافعى . وفيات الأعيان (مصر ١٣١٠هـ) .

— الذهبى . شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد .

١ — تذكرة الحفاظ . (حيدرأباد ١٣٣٣هـ) .

٢ — العبر فى خبر من غبر (الكويت ١٩٦١م) .

٣ — ميزان الاعتدال فى نقد الرجال . (مصر ١٣٨٢هـ — ١٩٦٣م) .

— ابن رشيق القيروانى . ابو على الحسن بن رشيق . العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده . (مصر ١٣٨٢هـ — ١٩٦٣م .)

— الزركلى . خير الدين . الاعلام . (مصر ١٣٧٤هـ — ١٩٥٤م) .

— السمعانى . عبدالكريم بن محمد . الانساب . (طبعة بالزنكوغراف ١٩١٢م) .

— د . سهير القلماوى . النقد الأدبى . (مصر ١٩٥٩م) .

— ابن السيد البطليوسى . أبو محمد عبدالله بن محمد . الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب . (بيروت ١٩٠١م) .

— السيوطى . جلال الدين بن عبدالرحمن بن أبى بكر .

١ — بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة (مصر ١٣٨٤هـ — ١٩٦٥م) .

٢ — تاريخ الخلفاء . (القاهرة ١٣٨٣هـ — ١٩٦٤م) .

٣ — المزهر فى علوم اللغة وأنواعها . (مصر الطبعة الثانية بدون تاريخ) .

— د . شوقى ضيف .

١ — تاريخ الأدب العربى " العصر الجاهلى " . (مصر ١٩٦٠م) .

٢ — الفن ومذاهبه فى الشعر العربى . (مصر ١٩٦٩م) .

— الصولى . أبو بكر محمد بن يحيى . أخبار أبى تمام . (القاهرة ١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧م) .

— ابن طباطبا . أبو الحسن محمد بن احمد العلوى . عيار الشعر (القاهرة ١٩٥٦م)

— طه احمد ابراهيم . تاريخ النقد الأدبى عند العرب من العصر الجاهلى الى القرن الرابع الهجرى . (بيروت بدون تاريخ) .

— أبو الطيب اللغوى . عبد الواحد بن على . مراتب النحويين . (مصر ١٣٧٥هـ — ١٩٥٥م) .

— أبو الطيب المتنبى . أحمد بن الحسين . ديوانه . شرح البرقوقى (القاهرة ١٣٥٧هـ — ١٩٤٨م) .

— عبد الحكيم بلبع . النثر الفنى وأثر الجاحظ فيه . (القاهرة ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٥م) .

— ابن عبد ربه . أبو عمر أحمد بن محمد الاندلسى . العقد الفريد (القاهرة ١٣٧٢هـ — ١٩٥٢م) . و) (طبعة القاهرة أيضا ١٣٥٩ هـ — ١٩٤٠م) .

— د . عز الدين اسماعيل . الأسس الجمالية فى النقد العربى . (القاهرة ١٩٦٨م) .

— العسقلانى . شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن حجر . لسان الميزان . (حيدر أباد ١٣٣٠هـ) .

— العسكرى . أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل . الصناعتين . (مصر ١٣٧١هـ — ١٩٥٢م) .

— ابن العماد . أبو الفلاح عبد الحى الحنبلى . شذرات الذهب فى أخبار من ذهب . (مصر ١٣٥٠هـ) .

— العمارى . على محمد حسن . الصراع الأدبى بين القديم والجديد (مصر ١٣٨٤هـ — ١٩٦٥م) .

— عمر رضا كحاله . معجم المؤلفين . (دمشق ١٣٧٨هـ — ١٩٥٨م) .

— الفرزدق . همام بن غالب . ديوانه . (بيروت ١٣٨٠هـ — ١٩٦٠م) .

— الفيروز أبادى . مجد الدين محمد بن يعقوب . القاموس المحيط (مصر ١٣٧١هـ — ١٩٥٢م) .

— القاضى الجرجانى . على بن عبد العزيز . الوساطة بين المتنبى وخصومه . (مصر ١٣٧٠ — ١٩٥١م) .

— ابن قتيبة . عبد الله بن مسلم .

١ — أدب الكاتب . (مصر ١٣٨٢هـ — ١٩٦٣ م) .

٢ — الامامه والسياسة المنسوب لابن قتيبة (مصر ١٩٦٧م) .

٣ — الانواء . (حيدر أباد ١٣٧٥هـ — ١٩٥٦م) .

٤ — تأويل مختلف الحديث . (مصر ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦م) .

٥ — تأويل مشكل القرآن . (مصر . ١٣٩٣هـ — ١٩٧٣م) .

٦ — الشعر والشعراء تحقيق أحمد محمد شاكر . (مصر ١٩٦٦م) .

٧ — عيون الأخبار (مصر ١٣٤٣هـ — ١٩٢٥ م نسخة بالاوفست ١٩٧٣م) .

٨ — غريب القرآن . (١٣٧٨هـ — ١٩٥٨م) .

٩ — المعارف . (مصر ١٩٦٩م) .

١٠ — المعانى الكبير . (حيدرأباد ١٣٦٨هـ — ١٩٤٩م) .

١١ — الميسر والقداح . (القاهرة ١٣٨٥هـ) .

— قدامة بن جعفر . نقد الشعر (مصر ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨م) .

— القرطاجنى . أبو الحسن حازم . منهاج البلغاء وسراج الأدباء (تونس ١٩٦٦م) .

— القفطى . جمال الدين ابو الحسن على بن يوسف . أنباه الرواة على أنباة النحاة . (مصر ١٣٧١هـ — ١٩٥٢م) .

— ابن كثير . عماد الدين ابو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى البداية والنهاية فى التاريخ . (مصر ١٣٥١هـ — ١٩٣٢م) .

— المبرد . أبو العباس محمد بن يزيد . الكامل فى اللغة والأدب (القاهرة ١٩٥١م) .

— د . محمد زغلول سلام .

١ — أثر القرآن فى تطور النقد العربى . (القاهرة ١٩٦٨م) .

٢ — تاريخ النقد العربى الى القرن الرابع الهجرى . (مصر ١٩٦٤م) .

٣ — سلسلة نوابغ الفكر العربى ١٨٠ (مصر ١٩٦٥م) .

— د . محمد غنيمى هلال . النقد الأدبى الحديث . (القاهرة ١٩٦٤م) .

— محمد كرد على . كتاب العرب فى رسائل البلغاء . (مصر ١٣٣١هـ — ١٩١٣م) .

— د . محمد مندور . النقد المنهجى عند العرب . (القاهرة ١٩٤٨م) .

— المرزبانى . أبو عبدالله محمد بن عمران .

١ — الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء (القاهرة ١٣٨٥هـ) .

٢ — معجم الشعراء . (مصر ١٣٧٦هـ — ١٩٦٠م) .

— المرزوقي . ابو علي احمد بن محمد بن الحسن . شرح ديوان الحماسة (مصر ١٣٧١هـ — ١٩٥١م) .

— المسعودي . علي بن الحسين بن علي . مروج الذهب ومعادن الجوهر (بيروت ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥م) .

— ابن منظور . أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم . لسان العرب (بولاق ١٣٠٢هـ) .

— النابغة الذبياني . زياد بن معاوية . ديوانه . (بيروت ١٩٦٨م) .

— ابن النديم . محمد بن اسحق بن يعقوب . الفهرست (مصر ١٣٤٨هـ) .

— النووي . أبو بكر زكريا محي الدين بن شرف . تهذيب الأسماء واللغات (المطبعة المنيرية بدون تاريخ) .

— اليافعي . أبو محمد عبد الله اسعد بن علي بن سليمان . مرآة الجنان وعبرة اليقظان . (بيروت ١٣٩٠هـ — ١٩٧٠م) .

— ياقوت . ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي . معجم البلدان (بيروت ١٣٧٥هـ — ١٩٥٦م) .

— الترجمة العربية لدائرة المعارف الاسلامية . (القاهرة ١٣٥٣هـ — ١٩٣٤م) .

— مجلة تراث الانسانية . (القاهرة ١٩٦٤م) .

=====

***

ز/جاها

" جدول الخطأ والصواب "

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
هـ	١٠	منهججه	منهجه
د	٧ — ٨	الشمر الشمراء	الشمر والشمراء
٥	٣	برقـة	برقة
٧	٩	فـ	فـى
١٠	١ —	ارت	اردت
١٢	١٠	تمين	تمـين
١٣	٥	محمل	محـل
١٦	٦	الشمر بين	الشمريين
٢٢	٤	قتنـه	قتيبـة
٢٦	٥	غـد	غـير
٢٩	٩	مـخصية	شـخصية
٣١	١٣	علمليـة	علميـة
٣٤	١١	ـــــ	منهمـا
٣٦	١٤	١٠ ـ كتاب الانوار	١٠ ـ كتاب الانواء
٣٨	٠٢	وذكـرة	وذكـره
٤١	٠٥	معنانى	معانى
٤٦	٠٥	كتابـادب	كتاب أدب
٤٧	١٥	حمـد	أحمـد
٤٧	١٧	التـاريخ	آلتاريـخ
٥٠	٠٢	لمتزجت	امتزجت
٥٠	٠٧	السـنن	السـن
٥٢	٠٣	والتميـين	والتهيـين
٥٣	٠١	الوجـو	الوجـوه
٥٣	٠٢	مز	مز
٥٣	٠٩	سـنن	من
٥٥	٠٧	ومهبة	ومهوبة
٦١	٠٣	قريـس	قريـش

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦٢	٠١	الشعر ـاء	الشعراء
٦٣	٠٩	حجتح	حجتج
٦٣	١١	طرقة	طرقه
٦٦	٠٨	اكفاء	الاكفاء
٦٧	٠٥	جربنا	جرينا
٧٠	٠٣	تخلو	تحلو
٧١	٢ (الهامش)	الصناعين	الصناعتين
٧٢	٠٢	لتبيص	لتبيض
٧٢	٠٣ (الهامش)	الصناعين	الصناعتين
٧٤	٠٤	المخفوص	المخفوض
٧٥	٠٥	طى	طس
٧٦	١١	الى لا	الا
٨٠	٠٩	التقض	التقى
٨٠	٠٣ (الهامش)	الصناعيين	الصناعتين
٨١	٠١ (الهامش)	الصناعين	الصناعتين
٨٦	٠٤	ومضش	ومضى
٨٦	٠٢ (الهامش)	الصناعين	الصناعتين
٨٧	٠٤	ان	ابن
٨٩	٠١	اضرلب	اضرب
٨٩	٠٩ (الهامش)	الصناعين	الصناعتين
٩٤	٠٦	موضح	موضع
٩٤	٠٨ ١٠	رونقة	رونقه
٩٤	١٠ (الهامش)	البشتى	البستى
١٠٠	٠٢	ظلاعُمش	ظلاعُشى
١٠٢	٠٢	روية	رويه
١٠٢	٠٣ ٨ (الهامش)	الصناعين	الصناعتين
١٠٢	١٤ (الهامش)	الصناعيين	الصناعتين

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٠٤	٠٣ (الهامش)	الصناعين	الصناعتين
١٠٥	١٣	تقلهما	نقلهما
١١٠	٠٢ (الهامش)	وبالجزه	وبالجز
١١١	٠٦ (الهامش)	الصناعين	الصناعتين
١١٢	٠٨	بالدربه	بالدربة
١١٢	١٥	متدمقة	متدفقة
١١٥	٠٤	الاستعارات	الاستعارات
١١٥	١٣	الاعراب	الاغراب
١١٥	١٤	نوعن	نوعين
١١٥	٠١ (الهامش)	الصناعين	الصناعتين
١١٨	١١	والرابط	والترابط
١٢١	١٢	الطريقة	الطريقة
١٢٥	٠١	يمسح	يمسخ
١٢٥	١٣	موفقه	موفقة
١٢٨	٥ — ٧	دواد	دؤاد
١٣١	١٠	لاهنه	لاهنة
١٣٢	١٧	قدونوا	فدونوا
١٣٣	٠٢	دامتزمنا	دامت زمنا
١٣٤	٠٩	ماسيتحق	مايستحق
١٣٦	٠٤	بيتى	بينى
١٣٨	٠٧	بلهج	يلهج
١٤٠	٠١	رسح	رسخ
١٤١	١٢	مقب	عقب
١٤٢	١٢	مثابت	مثابت
١٤٥	١٨	مقطمة	مقطمه
١٤٧	٠١	يسيق	يسبق
١٤٨	٠١	نراصيستعمل	نراه اصيستعمل
١٤٩	٠٩	ضمما	فما
١٤٩	١٦	يبالع	يبالغ

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٥٢	١١	يقفاهتمامه	يقف اهتمامه
١٥٢	١٨	نجد ميهتم	نجده يهتم
١٥٣	٠٦	الغربية	الخريبة
١٥٤	٠١	المتصلقباللفة	المتصلة باللفة
١٥٦	١٤	الهواد	الهواء
١٥٨	٣ (الهامش)	حـ	حـ ١
١٥٩	١٠	وأجوده	وأجود
١٦٤	٠٦	يوخـر	يؤخـر
١٦٥	٠٤	الفتـوى	الفنـوى
١٦٥	٠٨	نظـرات	نارت
١٧٠	١٦	دل على ذلك	دل مع ذلك